الكونت رشيد الدحداح واسرتهُ

للشاب الاديب والكاتب المحقق الشيخ سليم افندي الدحداح

لمَّا كان من اهمّ فروض الوطنيَّة احياء ذكر اعاظم رجال الوطن وكبار اصحاب الفضل والعلم وجب علينا ان ننشر سيرة هذا الرجل العظيم الذي تُعدّ وفاتهُ خسارةً على الوطن والعلم والفضيلة. ولكن قبل الاقدام على ذلك نرجو من القراء الكرام ان يسمحوا لنا بايراد لمعة عن حال لبنان وأسرة مشايخ بني الدحداح توطئةً لما نسردهُ ممَّا وصلت اليهِ معرفتنا القاصرة عن حياة واعمال الفقيد الذي يحقّ للشرق ان يفتخر بمثلهِ

لبنان قبل سنة ١٨٦٠ واسرة مشايخ بني الدحداح

ان منشأ هذه الاسرة هو قرية العاقورة الواقعة في اعالي جرود لبنان في مقاطعة جبة المنيطرة من المعاملة الشماليَّة المعروفة باسم معاملة طرابلس حسب تسمية الاقسام اللبنانيَّة القديمة (١). امَّا الآن فهذه القرية هي اهمّ قرى ناحية جرود جبيل التي احدثها في قضاء كسروان دولة متصرف لبنان الحالي في اوائل عهده بالمتصرفيَّة

(١) لا يخفى انهُ قبل سنة ١٨٦٠ كان لبنان يُقسم الى معاملتين كبيرتين احداهما الشمالية وهي المعروفة بمعاملة طرابلس والثانية الجنوبية كانت تُعرف بمعاملة صيداء. والفاصل بين الاثنتين الوادي الذي يبتدئ في أعالي الجرود بين كسروان والفتوح وينتهي في البحر المتوسط تحت الجسر المعروف بجسر المعاملتين في شمالي جونيه. وقد كانت معاملة طرابلس تتألف من المقاطعات الآتية: الزاوية. جبَّة بشرّاي. الكورة. القويطع. بلاد البترون. بلاد جبيل. جبَّة المنيطرة. الفتوح. واما معاملة صيداء فكانت تشتمل على: كسروان. القاطع. المتن. الغرب. الشحّار. اقليم الخرّوب. المناصف. الجرود. العراقيب. الشوفين. اقليم جزّين. اقليم الريحان. زحله وقسم من البقاع الشرقي.

وقد جاء في « اخبار الاعيان " (ص١٠٩) ان جدّ هذه العائلة هو الشيخ جرجس الدحداح وانهُ « في سنة ١٣٧٥ توفي المقدَّم غزال القيسي الماروني مقدَّم العساقورة بلا عقب فورثتهُ ابنتهُ زوجة جرجس الملقَّب بالشدياق » (١). والمقدم غزال هو من بقيَّة المقدَّمين المرّدة الذين استمروا في اعالي البلاد محافظين على حريَّة التصرف تحت سيادة الولاة والحكّام. وكانت سوريَّة مع لبنان وقتئذٍ خاضعين للسلاطين مصر وبقيت كذلك حتى سنة ١٥١٥ اذ أزال السلطان سليم الاول العثماني دولة السراكسة واخضع سوريَّة ومصر وألحقها بالممالك الشاهانيَّة المحروسة

امّا عن الشيخ جرجس الدحداح المشار اليهِ واصلهِ واعمالهِ ومحلّ وفاتهِ فلا يذكر التاريخ شيئاً مطلقاً. والذي اعرفهُ انهُ لم يبحث احد عن ذلك الّا المرحوم الكونت رشيد في تآليف لهُ بقيت خطيَّة. ولا اعلم ماذا حلَّ بها بعد وفاتهِ ووقوعها بين ايدي الجاهلين الذين يجهلون لغتنا العربيَّة

وزيادةً في الايضاح نقول انَّ في سنة ١٣٧٥ اي في أيام الشيخ جرجس كان البطريرك على الموارنة يوحنا الجاجي. وكان الحكم في الفتوح والسيطرة وبلاد جبيل وبلاد البترون لمشايخ بيت حمادة الشيعيين ذوي السيطرة والقوة. وكان على جبة بشرّاي الحماديين ايضاً وفي بعض اقسامها مقدَّمون موارنة. والسهل (اي الزاوية والكورة) كان تابعاً لحكّام طرابلس. امّا معاملة صيدا فانّها كانت خاضعة لامراء آل عسّاف وآل سيفا الاكراد وكان غالب السكان فيها من المسلمين وقد اندثر العنصر المسيحي في كسروان وغزير منذ سنة ١٣٠٧. وكان الامراء المعنيون في الشوف والعراقيب والجرد. والتنوخيُّون في الغرب الاعلى والشحار والمناصف. وآل ارسلان في الغرب الاسفل وفي الساحل

وقد توفي الشيخ جرجس الدحداح تاركاً ولداً تزوّج ثم صار كاهناً باسم ميخائيل.

وقد كانت مدينة بيروت ذاتا تابعة لهذه العائلة الجنوية من قبل سنة ١٧٨٠. وتاريخ بيروت الذي نُشر في هذه المجلة لاحد الامراء التنوخيين يشهد بذلك. فان الامراء حكام بيروت وقتئذٍ كانوا حاملين مراكز حكمهم في قرى الغرب

١) وقد وردت هذه العبارة في كتاب « تاريخ الطائفة المارونيَّة » للدويهي الذي هي بطبعهِ وتعليق حواشيهِ حضرة الاستاذ الفاضل رشيد افندي الشرتوني ولم يذكر فيها لفظة « الدحداح »

ومن الغريب ان سلسلة العائلة تذكر الخوري ميخائيل هذا ومن بعدهِ ستة كهنة(١ تناسلوا بالتتابع وكلّ منهم وحيد لابويه . فجرجس الدحداح الملقّب بالشدياق صهر غزال القيسي ورث عمهُ سنة ١٣٧٥ وخلفهُ ابنهُ الخوري ميخائيل فالخوري يوسف فالخوري ابرهيم فالخوري حنّا فالخوري ميخايل فالخوري يوسف فالخوري جرجس فالشيخ يوسف سنة ١٦٧٥ وهذا لم يصر كاهناً . والعائلة حفظت سلسلة اولادهِ . وقد ورث عنهُ مالك ابا الغيث القيسي سنة ١٧٠٠ وتوفي سنة ١٧٦٢ وقد رُزق من ابنة عمّهِ مالك اربعة اولاد وهم ابرهيم وسليمان وموسى ومنصور . ثم رُزق من زوجتهِ الثانية ابنةً وهبة

فمن وفاة المقدّم غزال سنة ١٣٧٥ وهو حمو اول شيخٍ من عائلة الدحداح الى وفاة المقدم مالك ابي الغيث القيسي سنة ١٧٠٠ توجد فترة ثلاثمائة وخمس وعشرين سنة . فلا يُصدَّق ان هذه العائلة تسلسلت في هذه المدة الطويلة كاهناً عن كاهن كلّ منهم وحيد اهلهِ . ولا ريب انهُ كان لكل منهم او للبعض اخوة قد أُهمل ذكرهم في سلسلة العائلة اما لانقطاع ذرّية الواحد منهم عاجلًا واما لكثرة الفروع المتشعّبة من تلك الاصول او لأن اولادهم ثبتوا في الناقورة بعد خروج الشيخ يوسف بابيهِ واولادهِ منها (٢ او لانهم هم ترحوا الى جهات مختلفة فلم يُلتفَت الى سياق نسبهم حتى نُسي مع الاعوام اسم اجدادهم انفسهم ولم تُحفظ الّا سلسلة الكهنة التي سبق ذكرها . ولعلّها ناقصة كما قلنا

ومن وقف على اخبار لبنان في تلك الايام يرى ان الناقورة لم تكن حكومة واحدة

(١ اعلم انّ كتاب اخبار الاعيان لم يذكر بعد الخوري ميخائيل سوى خمسة كهنة وقد عددناهم ستة وفقًا لتقليد العائلة . ولعلّهُ فُقد من هذه السلسلة حلقات أُخر والله اعلم

(٢ يشهد على ذلك كتاب صلاة وجد في كنيسة الناقورة مكتوب عليهِ بخط يد الخوري يوسف سادس هؤلاء الكهنة البادية الآتية ندوّنها بحرفها : « انا الخوري يوسف خادم الناقورة المرسوم من السيد الذكر البطريرك يوحنا مخلوف بايام اينوشنسيوس البابا في رومية . قد تقرّر كالهُ على يد احقر الناس واذلّهم يوسف باسم خوري ابن المرحوم الخوري ميخايل ابن الخوري حنّا ابن الخوري ابرهيم المكنّى بابن الدحداح من خروسة الناقورة . وكان عمر الكاتب المسكين ٤٧ سنة يوم كتب هذا الكتاب وهو وقفٌ لا رجوع فيهِ للقديسين المطهّرين مرت مريم سيدة الجبل ومار الياس ومار ميخايل وجبرايل من شي وكدي وقف صدقة عني وعن « اولادي » ووالدي . اي من طمع عليهِ وسرقهُ ام غيرهُ يكون محروماً من الله والقديسين المذكورين يكونوا خصامهُ وانا بريء من خطيتهِ . سنة ١٦٤٩ »

خاضعة لمقدَّم او شيخ واحد بل انهـا كانت قسمين: احدهما ورثهُ بنو الدحداح من جدّتهم ابنة غزال. والآخر ساد فيه غيرهم كما يشهد على ذلك ما جاء من انَّ المقدَّم خليل ابن مقلد بنى برجاً للقرية سنة ١٤٤٢ وان مالكاً اليمني شيخ العاقورة حرق المنيطرة سنة ١٥٣٤ وقُتل بعدئذٍ

ونحن في هذا الصدد يجدر بنا الالماع الى ان جميع أُسرات مشايخ الموارنة واكثر اهالي جنوبي لبنـان الموارنة هم من المعاملة الشماليَّة. فمشايخ آل دحداح نشأُوا في العاقورة من قرى المنيطرة سنة ١٣٧٥ كما سبق القول عنهم. ومشايخ آل حبيش عُرفوا سنة ١٥١٥ في يانوح احدى قرى المنيطرة ذاتها. والشدياق سركيس جدّ مشايخ آل الخازن لم يُذكر اسمهُ الا سنة ١٥٤٥ اذ قيـل انهُ جاء من جاج احدى قرى بلاد جبيل للسكنى في كسروان

ولنعد الى الشيخ يوسف الدحداح سليل الكهنة المارّ ذكرهم. فانهُ وقعت عداوة بينهُ وبين هاشم العاقوري اليمنيّ الذي كان الحماديون يعضدونهُ فتزح بابيهِ واولاده من العاقورة الى عشاش احدى قرى الزاوية ثم الى طرابلس حيث تعلم هو وولدهُ ابرهيم اللغة التركية. وبعد ان توظَّف عند الامير حسين حرفوش الشيعي حاكم بعلبك ثم عند الشيخ اسمعيل حماده الذي وهبهُ خمس قرى في مقاطعة الفتوح عاد الى العاقورة وخرج منهـا نهائيًا سنة ١٧٠٤ واتى لحفد في بلاد جبيل ثم انتقل منها الى الكفور في الفتوح وجاء في آخر الامر الى عرامون كسروان فاستوطنها. ويظهر ان والدهُ الخوري جرجس توفي في اثناء هذه الرحلات لانَّ التاريخ لا يذكر مجيئهُ الى عرامون

وعرامون هذه قرية من مقاطعة كسروان على حدود المعاملة الجنوبيَّة قد اختارها الشيخ يوسف ليكون في بلاد كثر فيها النصارى وساد فيها الحزب القيسي فيأمن جور الحكّام اليمنيين السائدين بشخص مشايخ حماده وامراء الحرفوش في المعاملة الشماليَّة. فضلًا عن ان هذه القرية نظرًا الى وقوعها على حدود مقاطعة الفتوح وقربها من معاملة طرابلس تمكّنهُ من السهر على القرى التي يملكها في الفتوح ومداومـة كتابة الاسرار واستلام زمام الاحكام عنـد مشايخ حماده المذكورين. ولم يمضِ عليه سنة في عرامون حتى ولَّاهُ الشيخ اسمعيل حماده شؤون مقاطعة الفتوح بأسرها وجباية الاموال الاميريَّة فيها وقد اعفاهُ من جميع الاموال هو واولادهُ وخدمهُ وشركاءهُ

ويوسف هو الذي اشار اليه البطريرك سمعان عواد في ترجمة حياة البطريرك اسطفان الدويهي اذ يسميه بيوسف العاقوري الماروني ويذكر عنهُ انهُ كان يجبي الاموال الاميريَّة في الفتوح من قبل الشيخ اسمعيل حماده. وقد ورد ذلك في المقدمة التي في صدر « تاريخ الطائفة المارونيَّة » للدويهي فهذا الشيخ العاقوري الماروني هو احد اجداد بني الدحداح

وتوفي يوسف سنة ١٧٦٢ ودفن في حجرة خاصة في دار كنيسة عرامون. وكان قد رزق كما رأيت انفًا خمسة اولاد ذكور هم ابرهيم (١ وسليمان (٢ وموسى (٣ ومنصور (٤ ووهبه (٥. ولمَّا كان لبني الدحداح شأن في لبنان وقد امتزجت اخبارهم باخبار حكامه وامرائهِ وجب علينا من باب الايضاح ان نورد لمحة عن احوال لبنان في تلك الأيام كي نتمكَّن من استيفاء الكلام عن اولاد يوسف المشار اليهم وسلالتهم من بعدهم

كان الامراء المعنيون المسلمون المشهورون بالعدالة قد حكموا في الشوف والعراقيب والجرد مدة طويلة وظهر منهم ولاة يعرفهم الكرم « نسيف كالامير فخر الدين مثلًا (٦

---

١) درس اللغة التركية مع ابيهِ واتقنها واشتهر بذكائهِ. وقد توفي قبل ابيهِ تاركًا ثلاثة اولاد ذكور وابنة. وانقرضت ذريتهُ بموت المرحوم فيَّاض آخر ذكر من نسلهِ. توفَّاهُ الله في طرابلس سنة ١٨٨٣

٢) بعد ان ساعد اباه مدة حياتهِ في اشغال الفتوح وامور بيت حمـاده توفي طاعنًا في السن سنة ١٧٦٦. وهو الذي حضر الجمع اللبناني الماروني المنعقد في دير اللويزة سنة ١٧٣٦. وقد ورد سهوًا اسم سلُّوم الدحداح عوض سليمان في الطبعة العربيَّة الجديدة للمجمع المذكور المترجمة بقلم سيادة المطران يوسف نجم والمطبوعة سنة ١٩٠٠

٣) كان في عهد ابيهِ ترك المشايخ الحماديين وتقرَّب الى الامراء الشهابيين فدخل في مِنَّة الامير منصور الشهابي حاكم معاملة صيداء. وقد انتفع اولادهُ من ذلك ونالوا الغنى والشهرة ولاسيما ابنهُ سلُّوم وحفيدهُ منصور بن سلوم كما سيأتي الكلام عنهم. توفي موسى سنة ١٧٧٨

٤) هو اعظم اخوتهِ قدرًا وابعدهم شهرة واقدرهم سياسة وحكمة. وهو مع سلوم ابن اخيهِ موسى المذكور آنفًا ومنصور بن سلوم فخر العائلة ورافعو لواء مجدها. كما سترى

٥) سيأتي الكلام عنهُ وقد توفي في مدة الخمس السنوات الاولى بعد الثمانمائة والالف

٦) وقد غلط كتبة الافرنج في نسبتهِ الى المذهب الدرزي. وربَّما كان سبب الغلط ما ورد في تآليف ابنـاء العرب وفرمانات الدولة العلية من نسبة فخر الدين بامير الدروز او امير جبل الدروز

وقد انقرضت سلالتهم بوفاة الامير احمد حاكم معاملة صيداء في ١٥ ايلول سنة ١٦٩٧ (١ فانتخب كبراء لبنان (والاحرى كبراء معاملة صيداء) وريثاً لهُ ابن اختهِ الامير بشير الشهابي من راشيا . لكن الحكومة السنية لم تصادق على هـذا الانتخاب بل عيَّنت الاميرَ حيدر شهاب (٢ من حاصبيا لانهُ ابن بنت الامير المتوفى واحقّ بالارث . ولمَّا كان هذا قاصراً أقيم وصياً عليهِ او كفيلاً لهُ الامير بشير المذكور حتى سنة ١٧٠٦ التي مات فيها الوصيّ واستقل بالحكم الامير حيدر فنامت عليهِ الاحزاب اليمنيَّة من امراء آل علم الدين وارسلان ومقدَّمي بني الصواف المتنين وتحمود المرموش فطردوهُ واستبدوا بالامر في لبنان الى سنة ١٧١١ حيث بزَّ الامير حيدر من مخبَإِهِ ودعا اليهِ قومهُ وسار فيهم الى دير القمر عن طريق الجرود ليسلم اعداءهُ من الالتقاء والانضمام فيطيش بهم في خراج عين دارا من العرقوب وفتك فيهم فتكاً ذريعاً وافنى آل علم الدين وانى دير القمر مركز حكومة المعاملة واباد الحزب اليمني فلم تقم لهُ قائمة ولم يعد يُذكر لهُ اسم في لبنـان . ثم استقال من الحكم سنة ١٧٢٩ فورثهُ بكر اولاده الامير ملحم . وفي عهد هذا انقسم لبنان الى حزبين " يزبكي " برئاسة مشايخ آل عماد و " جنبلاطي " برئاسة بني جنبلاط . وفي سنة ١٧٥٤ اعتزل الامير ملحم فخلفهُ اخواهُ الاميران احمد ومنصور الى سنة ١٧٦٠ حيث انفرد بالسلطة الامير منصور

وقد سعى الشيخ سعد الخوري مربّي الامير يوسف واخوتهِ (٣ بايجاد وسيلة ليترع معاملة صيداء من يد الامير منصور ويجعلها في قبضة ربيبهِ الامير يوسف . ثم عدل عن مقصدهِ وعمل باشارة من (٤ قال لهُ ان يتخـذ الامير منصور عضداً لهُ في استحصال معاملة طرابلس للامير يوسف . وهكذا قد تمّ فان الامير منصور سُرَّ من هذا الرأي

(١ اي الثاني عشرة سنة بعد وفاة الشيخ ابي نوفل الخازن . فان الدويهي يقول (في الصفحة ٣٤٦ من تاريخ الطائفة المارونية) انَّ وفاة هذا الشيخ كانت في ١٣ آب سنة ١٦٧٩ . فهذا النص وما ورد في التحريرات المسماة بالرسائل البانية (Lettres édifiantes) ببنان بهدم بناء ابي نوفل في قيد الحياة الى ما بعد انقراض المشيخين كما ورد في الصفحة ٢٥٩ من التأليف نفسهِ والمأخوذ من جهل الشارح اسم مؤلفهِ

(٢ هو جدُّ جميع الشهابيين اللبنانيين

(٣ جميعهم اولاد الامير ملحم المتقدم

(٤ الشيخ منصور الدحداح وذلك انتقاماً من الحماديين كما سيأتي

الآل الى ابعاد ابن اخيه (١ عنهُ واقتناعه بمعاملة طرابلس عن معاملة صيداء. وسعى فحصَّل لهُ الفرمان من ايالة الشام وطرابلس. وفي سنة ١٧٧٠ تخلَّى لهُ عن معاملة صيداء ايضًا فاصبح لبنان كلهُ في يد الامير يوسف. وفي سنة ١٧٨٩ عُزل هذا الامير فاخذت الحكومة تتراوح بين ايدي الامير بشير قاسم عمر المعروف بالكبير او المالطي وبين اولاد الامير يوسف المعزول (٢ وبين الاميرين حيدر وقعدان. الى ان ثبتت اخيرًا في يد الامير بشير المذكور الذي لا تخفى اخباره ووقائع عهده

وبعد عزله خلفهُ ابن عمّهِ الامير بشير ملحم ثم عمر باشا. واخيرًا في سنة ١٨٤٣ انقسم لبنان الى قائمقاميَّتين: احداهما للنصارى من طريق الشام الى طرابلس. والثانية للدروز من الشام الى صيداء ما عدا دير القمر التي بقيت تابعةً لمدينة بيروت رأسًا. وكان اول قائمقام على النصارى الامير حيدر ابو اللمع وعلى الدروز الامير احمد ارسلان. وجميع هذه الامور حديثة مشهورة لا نتعرَّض لذكر تفاصيلها

فنعود الان الى سياق الكلام عن الدحادحة ونقول ان الشيخ منصور رابع اولاد الشيخ يوسف العاقوري السابق ذكرهُ كان في حياة ابيهِ يدَهُ اليمنى وبعد وفاته تولى امور بيت حماده. ولكن لمَّا رأى منهم النـدر بعد موت الشيخ اسماعيل حماده وتعذَّر عليهِ اصلاحهم تركهم وسافر الى قبرس. وفي اثنـاء غيابهِ بيعت املاكه في الفتوح وفاء لكفالتهِ بني حماده تجـاه والي طرابلس. ولمَّا عاد من قبرس تداخل مع الشيخ سعد الخوري مربي اولاد الامير ملحم واقنعهُ بالعدول عن مزاحمة الامير منصور الى الاستعانة بهِ على تحصيل معاملة طرابلس للامير يوسف. كما سرَّ آنفًا. ولمَّا نجح مسعاهما اعطى هذا الامير لمربيه وكافيتهِ الشيخ سعد املاكًا واسعة في جبَّة بشرَّاي. اما منصور فقد اعطاهُ قسمًا كبيرًا من بلاد جبيل عهدة خصوصيَّة لهُ ولذريتهِ من بعده من غير شراكة احد فيها من عائلتهِ. ووهبه املاكًا شاسعة في بلاد جبيل والبترون والفتوح. منها دير البنات واراضي في سهل جبيل ودكاكين بوبّابة جبيل ومستيتا واملاك في البوار

فدير البنات واراضي السهل اعطاها منصور وقفًا للرهبانيَّة البلديَّة الماورنية مشترطًا على رؤسائها قبول افراد ذريتهِ في الرهبانيَّة بدون مانع وحافظًا لنفسهِ ولأي كان من نسلهِ حقّ الرجوع بهذه الوقفيَّة واسترجاعها من الرهبانيَّة.

(١ الامير يوسف المذكور (٢ وهم حسين وسعد الدين وسليم

واما دكاكين البوّابة فقد وقفها على كنيسة سيدة جبيل . وسلّم املاك مستيتا(١ وقفًا الى دير سيدة الحقلة . وقد استمرّت العلائق الحسنة بين سلالة الشيخ منصور هذا والمتولّين على اوقاف سيدة الحقلة حتى وضع يدهُ على هذه الاوقاف المثلّث الرحمة البطريرك يوحنا الحاج اذ كان اسقفًا على بعلبك(٢ . وكانت عوائد واصطلاحات خاصّة محفوظة لسلالة الشيخ منصور في معاملتهم مع اصحاب الدير المذكور

اما املاك البوار فقد وقفها على دير مار دوميط المشهور كما يثبت ذلك من حجج واوراق هذا الدير ومن العوائد الخاصّة المحفوظة في معاملة رئيسهِ لاولاد الشيخ منصور وسلالتهم (٣

ولمّا تمكّن الامير يوسف من حمل عنهِ على الاعتزال سنة ١٧٧٠ واستقلّ وحدهُ بالمعاملة جعل بني الدحداح في مقدّمة رعاياهُ فاعطاهم مقاطعة الفتوح عهدة خصوصيّة لهم مكافأة على حسن خدمتهم . وسلم اعمال مقاطعة الحماديين في المنيطرة الى وهبة اخي منصور . واحضر سلومًا وناصيفًا ولدي موسى فاقام الاول كاتبًا في ديوانهِ مقرّبًا اليهِ والثاني رئيسًا على المحاسبات وجباية الاموال الاميريّة (٤

وتوفي منصور مؤسس مجد هذه العائلة سنة ١٧٨٠ تاركًا ولدًا وحيدًا اسمهُ حنّا(٥

---

١) اعلم انّ دير مستيتا اعطاهُ الامير يوسف الشهابي بواسطة الشيخين المرحومين منصور الدحداح وسمان البطار لعائلة بيت ديب من دلتا ليكون تحت تصرّفها وولايتها

٢) وقد عادت اليوم بامر الكرسي الرسولي لاصحابها ٣) لم اذكر كلّ الاوقاف التي وقفها جميع افراد العائلة الدحداحيّة . ومن هذه الاوقاف ما هو بايدي العائلة كدير سيدة شويت ودير مار انطونيوس عين سجاع في الفتوح الذي يديرهُ الان الخوري الفاضل طوبيا الدحداح

٤) وقد اخطأ الخوري منصور الحدتوني (واخطأ معهُ صاحب « بطل لبنان ») بقولهِ في مقدمة تاريخهِ ان مهدة الفتوح اعطاها الامير بشير الشهابي لسلوم الدحداح سنة ١٨١٦ . على حين انهُ يذكر في كلامهِ عن حكومة الامير يوسف انهُ اقطع الدحادحة مقاطعة الفتوح سنة ١٧٧٠ . فالمناقضة بين القولين ظاهرة . كما انهُ اخطأ في نفس المقدمة بذكره دير ومدرسة مار مبدا هرهريا في عداد اديرة كسروان . فلو نظر فيما اذا كان الدير واقعًا شمالي الوادي المؤدي الى المعاملتين ام جنوبيه لما فاته انهُ في الفتوح لا في كسروان . ولا شكّ انهُ اختلط عليهِ الامر مما كان يحدث من ادعاء البعض بان الدير المذكور تابع لكسروان ومعاملتهم ترع سلطة بني الدحداح عن مزرعة الدير واراضيه وكيف تمكّن بنو الدحداح من اثبات حقوقهم والمحافظة على حدود مقاطعتهم رغمًا عن معاكسة الايّام لهم واتفاق السلطتين الدينيّة والمدنية في لبنان ضدّهم

٥) حنا ولد سنة ١٧٦٢ وتوفي سنة ١٨٠٧ وقد ادار اعمال مقاطعتهِ دون المداخلة في شؤون

خلفهُ في مقاطعتهِ. وقد اشتهر من بعده اولاد اخيهِ الاربعة ناصيف وسلوم ويوسف وابرهيم. وبعد عزل الامير يوسف سنة ١٧٨٩ مضى على بني الدحداح عشر سنوات تقلبت فيها عليهم الاحوال بتقلُّب الاحكام بين الامراء حتى ثبتت في يد الامير بشير الماطي (كما سبق القول). وكان كلٌّ من هؤلاء الحكّام يعين سلوماً واخوتهُ في ديوان الاحكام

ولمَّا استقلَّ بالحكم الامير بشير المذكور عيَّن سلوماً كتخدا اي مدبّراً لاعماله وناصيفاً على الاموال الاميريَّة في كسروان والفتوح وجبيل وسائر الجهة الشماليَّة. ولمَّا كان قد عيَّن اخاهُ الامير حسن حاكماً في غزير ومراقباً على اصحاب المقاطعات في كسروان وشمالي لبنان جعل عنده ابرهيم اخا سلوم كتخدا وقاضياً. واتخذ اخاه يوسف سفيراً لهُ في مخابراتهِ مع الولاة ولاسيما والي عكَّا احمد باشا الجزار

وقد توفي سلُّوم في عرامون سنة ١٨٢٠ عن ثلاثة اولاد منصور وغالب وبشير. فكان لهُ مأتم عظيم اعتزَّ لهُ لبنان واحتشد فيهِ الامراء والمشايخ واماثل الجبل من جملتهم الامير امين الذي حضر من قِبل ابيهِ الامير بشير. والشيخ بشير جنبلاط الذي جاء من المختارة بنفسهِ

وكان لمَّا شاخ سلوم تعيين ولده منصور معاونًا لهُ. فما زال هذا يتعاطى تدبير الاشغال حتى سنة ١٨٢٨ حيث سلَّم الامير بشير شؤون حكومته الى ولدهِ الامير الامين. وكان هذا اتخذ منادماً لهُ الشاعر المشهور المعلم بطرس كرامة. فاعتزل الشيخ منصور الاعمال وعاد الى عرامون. وقد قضى هو وابوهُ في تدبير الاحكام مدة ٥٨ سنة اشتهرا فيها بالسياسة والخبرة والحزم والنشاط والصدق نحو اولياء الامور. وقد ترك كلٌّ منهما اسماً مجيداً يردّدهُ اللبنانيون الى يومنا هذا مثنين بحسن تدبيرهما وسموّ مداركهما وسهرهما على رعاية الاحكام وصدقهما في الخدمة. وهما هما اللذان زانا حكومة الامير بشير.

لبنان السفلية. وقد اوفدهُ الامير بشير قاسم عمر الكبير حاكم لبنان الى الاناضول سنة ١٧٩٩ رئيساً على الوفد المرسل ليقدم الهدايا والتقادم الى الصدر الاعظم. يوسف ضيا باشا فالتقاهُ في مدينة قره مرط فاكرمهُ الوزير وخلع عليهِ. ولمَّا هذا اربعة اولاد منصور (+١٧٦٢) ولويس (١٧٨٨–١٨٣٢) وجهجاه وحرب. وكان جهجاه (١٧٩٠–١٨٦٠) من مشاهير الرجال قاوم الامير بشير واتَّفق مع الدولة العثمانية لطرد الجيش المصري من الشام وبدَّد شمل الامير حميد حفيد الامير بشير في جبَّة بشرّاي واسرهُ فاثنت الدولة على خلوص عبوديته وجهجاه والد جناب رفتلر الشيخ خطار الدحداح وجدّ المرحوم الشيخ يوسف وسيأتي ذكره

وفي أيامهما كان عهدهُ عهد العدل والامان. وقد ترك سلوم رسالة خصوصيَّة بخط يدهِ يروي فيها سياحة الامير بشير الاولى الى مصر سنة ١٧٩٩ اذ جاء اليها الصدر الاعظم يوسف ضيا باشا

اما منصور فانهُ بعد اعتزالهِ الاشغال سكن الدار العظيمة التي كان قد شيَّدها في عرامون لزاء بيت ابيهِ ولم يتداخل بعد ذلك بشؤون السياسة سوى اربع مرَّات : (الاولى) لمَّا استدعاهُ الامير بشير الكبير سنة ١٨١٠ ليستشيرهُ في امر التسليم وترك العساكر المصريَّة. فاشار عليهِ بالطاعة فلم يذعن لاشارته بل عمل برأي بطرس كرامة فكان من امرهِ ما كان. (الثانية) لمَّا دعاهُ الامير بشير قاسم ملحم المعيَّن بدلًا من الامير بشير الكبير فابَى طلبهُ ونهض برجالهِ ولحق بجيش الامير لمطاردة العسكر المصري حتى وصل الى البقاع. ومنها عاد الى بيت الدين ثم قفل راجعًا الى عرامون. (الثالثة) لمَّا تعيَّن عمر باشا بدلًا من الامير بشير الثالث فاتخذ مدبّرين احدهما مسيحي وهو الشيخ منصور الدحداح المذكور والثاني الشيخ خطار العماد الدرزي. وقد بقي الشيخ منصور في الخدمة مدة اقامة عمر باشا في لبنان. (الرابعة) لمَّا تعيَّن الامير حيدر ابو اللمع سنة ١٨٤٢ قائمقامًا على النصارى كما سبق القول فاتخذ الشيخ منصور بضعة اشهر مدبّرًا ثم تركهُ وخاصمهُ واضطهدهُ زمنًا طويلًا

ومات الشيخ منصور في دارهِ بعرامون سنة ١٨٦١ في عمر اثنين وثمانين عامًا. وكان قد اقتنى املاكًا عظيمة وحصَّل اموالًا طائلة (١)

فهؤلاء الثلاثة منصور الاول وسلوم وابنهُ منصور هم عظماء العائلة ورافعو لواء مجدها. وقد جرى على آثارهم كثيرون من اسرتهم فخدموا امراء البلاد وتولَّوا الاشغال فاشتهروا في كل عهد لاسيَّما في عهد الامير بشير الكبير حيث كنت ترى تقريبًا جميع مشايخ بني الدحداح في الوظائف. ففي بيت الدين كان امين بن يوسف وموسى بن ابرهيم ورُشيد بن غالب كتَّابًا للامير بشير. وفي غزير كان خليل بن غالب كاتبًا للامير عبد الله.

---

(١) وهذا يخالف ما قالهُ صاحب تاريخ مقاطعة كسروان ويكفي لنقض دعواهُ ان نقول ان قسمًا من ثُلث تركته (بستان الصا في بلاد البترون) هو الان ثروة عظيمة في ايدي اولاد انجيالهِ

وفي المقاطعات كان لويس وجهجاه ابنا حنا حاكمين على بلاد جبيل . وزعيتر (١ وكيلًا على مشايخ الجبَّة ومرعي (٢ وكيلًا على مشايخ الكورة

ولمَّا انقسم لبنان الى قائمقاميَّتين كما سبق القول كان الشيخ امين رئيس الكتبة عند الامير حيدر اوَّل قائمقام على النصارى وابنهُ الشيخ يوسف معاونًا لهُ . وكانا كلاهما شاعرَين بارعين . وقد اشتهر احدهما يوسف بخطِّهِ واتقانهِ التصوير . وهو الذي صنع للامير حيدر تاريخًا لبناء سراياه في بكفيا لم يزل منقوشًا الى يومنا فوق مدخلها . اما الشيخ امين فلهُ تآليف نفيسة منها رسالة كلها مراثٍ وحِكَم وضعها بعد فقدهِ ولدهُ يوسف المذكور سنة ١٨٥٠ في عنفوان الشباب . ويشهد على مكانتهِ من الشعر والعربيَّة ما تبادلهُ من القصائد المشهورة مع شعراء عصرهِ . ونحن نكتفي عن الكل بالاشارة الى ما ورد في ديوان استاذهِ الشاعر بطرس كرامة وديوان المرحوم المطران جرمانوس الشمالي وتوفي الشيخ امين سنة ١٨٧٣ ولهُ من العمر ٨٣

اما الشيخ موسى فكان قد سافر مع الامير بشير الكبير الى منفاه بمالطة ثم الى الاستانة العليَّة . وعاد منها الى لبنان سنة ١٨٤٥ . وبعد وفاة الامير حيدر تعيَّن عند خلفهِ الامير بشير احمد اللمعي مدبِّرًا او كتخداه فاقام برئاسة الاحكام الى سنة ١٨٦٠ حيث كان عزل الامير وتشكيل المتصرفيَّة . وكان مشهورًا في أيَّامهِ باسم « لسان النصارى » ممتازًا بحزمهِ ورصانتهِ وحكمتهِ وفصاحتهِ وطلاقة لسانهِ واقتدارهِ على اقناع سامعيه

وقد مات في بعلبك سنة ١٨٧٥ فشيَّد لهُ مدفنًا لائقًا حفيدهُ الشيخ حصن الذي كان قد انتظم في الرهبانيَّة البلديَّة باسم يوسف وعيَّن وكيلًا اسقفيًّا في بعلبك

وممن اشتهروا في هذه الآونة ايضًا فرنسيس واخوه لطوف وطنوس الذي خلف اباهُ تاصيفًا على الاموال الاميريَّة

ومنذ سنة ١٨٥٠ اخذ مشايخ الدحداح يهجرون عرامون . فاستوطن فريق كبير منهم

---

١) زعيتر بن راشد بن موسى توفي سنة ١٧٦٣ وهو والد المرحومين راشد وقبلان الذين اشتهرا في خدمة لبنان والدين وتوفيا من بضع سنوات وجدّ الشيخ يوسف راشد احد مدراء لبنان حاليًا

٢) مرعي ولد سنة ١٧٨٣

ناحية الفتوح مقاطعتهم . وفريق ذهب الى بلاط في بلاد جبيل حيث كان قد سبق اولاد وهبه فاستوطنوا هناك منذ الاول . والبعض منهم تفرّقوا في البلاد

واكثر دور مشايخ الدحداح اصبحت اليوم اديرة : فدار الشيخ منصور سلّوم صارت دير مار نقولا المعروف بمدرسة العريضة . ودار الشيخ موسى اشتراها منهُ قعدان بك الخازن ثم صارت مع دار الشيخ امين ملكاً لابرشية بعلبك وكرسيًّا للاسقفيّة . ودار الشيخ طنوس اصبحت مدرسة الحكمة

هذا ما ارتأينا ادراجهُ من اخبار عائلة بني الدحداح حتى سنة ١٨٦٠ كتوطئة لترجمة الكونت رشيد الدحداح (ستأتي البقيّة)

مقطعات شعريّة للشيخ احمد البربير

اختارها الاديب عيسى افندي اسكندر معلوف

هو الشيخ العلّامة الاديب احمد افندي البربير اصل عائلتهِ من بيروت وكان مولدهُ في دمياط سنة ١١٦٠ هـ (١٧٤٧م) ثم حضر الى ثغر الشام وتولى القضاء في بيروت في عهد الامير يوسف الشهابي ثمَّ استعفى واستوطن دمشق وبها كانت وفاتهُ سنة ١٢٢٦ هـ (١٨١١م) . ودُفن في الصالحية. ولهُ تآليف حسنة منها كتاب الشرح الجليّ على بيتي الموصلي طبعهُ في بيروت الشيخ محمد افندي عمر البربير سنة ١٣٠٢ هـ (١٨٨٤م) . ولهُ شعر جيّد ذكرنا منهُ شيئاً في ترجمة ميخائيل البحري (المشرق ٣ : ١٢-١٨) . امّا المقطّعات التالية فقد اختارها جناب الفاضل عيسى افندي اسكندر معلوف من نحو ٥٠٠ مقطّعة للشيخ المذكور استنسخها من هامش كتاب اسرار البلاغة المخطوط وجدهُ في مكتبة السيد غريغوريوس حداد مطران طرابلس للروم الارثوذكس وهي مكتوبة بخطّ المؤلف رحمهُ الله (المشرق)

١ ويومٍ تبسّم نوّاره ودمع السحاب عليهِ انسكبْ
رأت سُحبهُ كاسهُ مترعاً فصارت تنقّطها بالحَبَبْ

٢ نحن والله في نعيمٍ مقيمٍ بين سجعٍ وبين صوتٍ رخيمٍ
لم نجد عندنا اليك رسولاً غير ماءٍ من لطيف النسيمٍ
قد قضى غمّنا فتاح عليهِ كلُّ صوتٍ من الحمام نظيمٍ
ولهذا لم ندرِ ما نحن فيهِ من سرورٍ وعزّةٍ وتنعيمٍ

أنعيمٌ في جنّةٍ ام خيالُ في منامٍ ام جنّةٌ في نعيمِ

٣ قد رنّح الريحُ زهرَ الروض مبتسمًا لمّا رآهُ غضيضَ الطرف فانتبها
والنحلُ عقدُ جواري السُّحب فانتثرت لآلئًا منهُ اهدتها البحارُ لها

٤ ونهرٍ يبوح باسرارهِ ويجري لضائع ازهارهِ
ترى ماءهُ ابدًا راقصًا لتصفيق انواع اطيارهِ
فكم شكرتهُ الرياضُ التي أزاهرُها بعضُ آثارهِ
جلبتْ المسرّة من صفوهِ وألقيتْ همّي بتيّارهِ

٥ وليلةٍ حسنتْ اوقاتها وصفتْ نظيرَها ما رأت شمسٌ ولا وصفتْ
كأنّ انجمها والجوّ يبرزها جواهرُ الدرّ في بحر الظلام طفتْ

٦ ليلةٌ كالغراب قصّ جناحا ليس يرجو الكئيب فيها صباحا
خافها اعزلُ السماكين حتى صار ذا رعدةٍ والقى السلاحا

٧ دمشق دارٌ للهوى والنوى وهي لمن يخشى العدى جُنّهْ
كأنها المرآة مصقولةٌ تلوح فيها صورة الجنّهْ

٨ دمشق حازت عنبًا يُضرب فيهِ المثلُ
كأنهُ لآلئٌ يُعان فيها العملُ

٩ نذير شيبٍ منذرٌ بالذهابْ فجدّد التوبةَ قبل الحسابْ
واحذر سطى جارح باز هوى من هولهِ طار غرابُ الشبابْ

١٠ خيوط الشيب قد مُدّت بقودي ومدّ خيوطها قِصرُ الحياةِ
اجادت غزلها ايدي الليالي لتنسجهُ غدًا كفنًا لذاتي

١١ كم سبكنا الذهبان فيهِ مديحًا فاستحالت كطرق الحدّادِ
والذي يغرس الثنا في سباخٍ فكثيرٌ عليهِ شوك القتادِ

١٢ صحبةُ الناس عُراها اصبحتْ غيرَ وثيقهْ
قد رأيناها مجازًا فاتخذناها حقيقهْ

*

١٣ لمّا رأى الدينـارُ انّ مقرّهُ في ملكه مقدارُ طرفة عينِ
لاحت على خدّيه صفرة وجههِ جزعًا واصبح وهو ذو وجهين

*

١٤ تقلّد صمصامةً حدُّها يؤثّر في الصخر قدًّا وقطعا
لسانٌ جرى سئهُ كاللعاب ألم ترَهُ لابسًا سلخ افعى

*

١٥ رايض راق العيـ ـنَ منظرًا ومخبرا
صحيفةٌ قد كتب الـ ـم فيرندُ فيها اسطرا

*

١٦ طاول الريحُ سيفهُ فانثنى الريح وانهزمْ
ولذا بات نادمـًا يقرعُ السنَّ من ندمْ

*

١٧ كانّ خيولَ عسكرهِ رياحٌ اذا ما أعنقت يومًا وسارتْ
هي العقبان في كرّ وفرّ فلولا اللُجم تمسكها لطارتْ

*

١٨ اضحى الزمان ينادي وليس حرفٌ وصوتُ
لا تنسَ في الدهر من لا ينساكَ وهو الموتُ

*

١٩ وعجبتُ من راياتهِ الحُمر التي شربتْ مرارًا من دم الاعداء
رفعت فجرّت بحر جيشٍ خلفها وتولّمت بالنصب للاغراء

*

٢٠ اصبر لدائك يا اخي ودع القلاقة والضجرْ
فالله خالقنـا لديـ ـهِ اشدُّ من هذا الخطرْ
واذا خشيتَ من العمى اصبحت ترضى بالعورْ

*

٢١ قد كاد يأكل نصلهُ سيفٌ تروعُ مقاتلهْ
« والنار تأكل بعضها ان لم تجد ما تأكلهْ »

*

٢٢ مـذاكرةُ الالمعيّ الاديبِ حياة النفوس وموتُ الكُرَبْ
فجدَّ لتحصيلها واجتهـدْ فتلك بِسَنِّ لـيف الأدبْ

*

٢٣ خذ درَّ ما في الكتب عن علّامةٍ سامي الهمم
فالبحرُ بحرٌ زاخرٌ والكتبُ اصداف الحِكَمْ

*

٢٤ على البرّ اجرى بحرَ جيشٍ عرمرمٍ ارانا عجيباً حـين ارغى وازبدا
جداولُ بيضٍ انبتت وردة الدما وعيدانُ سمرٍ اثمرت اروس العدى

*

٢٥ خيرِ طِرْفٍ يسبق الطَّر ف وما ألطف ليّتهْ
فهو بحرٌ في الفيافي ورياحٌ وسفيتهْ

*

٢٦ خفِ الصديق وان كا ن ألمعيًّا وحُرّا
فالشمس تحميك نورًا وقد تميتك حَرًّا

*

٢٧ النفسُ جيّدُها كأبصرِ مقلةٍ وخبيثها كالقلقة العشواء
هذي تميل الى الضياء وهذهِ ما ميلها الّا الى الظلماء

*

٢٨ ان رمتَ نيل المعالي فأكرم الاخيارا
فليس يكبر الّا من صغّر الدينارا

*

٢٩ لا تلحُ من يتشكّى انَّ التشكّي دواء
واوجع الضرب ما لا يكون فيهِ بكاء

*

٣٠ الفهم اسنى نعمةٍ في الفتى لانـهُ قاضٍ بلطف الطباعْ
دلَّ على عقل امرئٍ فهمهُ كما على الشمس يدلّ الشعاعْ

*

٣١ تبًّا لصورة دنيا شبيهةٌ بالخمره
من ذاق منها رآها مع اللذاذة مرّهْ
اياك والسكر منها وحسبك الموت سكرهْ

الصابئة او المندائية

بقلم الاب الفاضل والباحث المدقق انستاس الكرملي البغدادي

(تابع لما جاء في المشرق ٣ : ٧٧٧)

والكاتب الاديب كان في المقالة السابقة وصف الطور الثالث لتقلب الشيعة الصابئة ودخول الآراء الفلسفية فيها. فاستتلي كلامهُ بقولهِ:

ألا ان هذه الفِرَق وان تعدَّدت شُعَبها وشعابها واختلفت اسماؤها والقابها فانها ترجع الى اربع فِرَق كبرى. وقد رأيتُ افضل متكلمي الاشعريين سيف الدين ابا الحسن عليّ بن ابي علي الآمدي قد احسن تمييز هذه الفرق الاربع وفاق سائر كتبة العرب ومؤرخيهم في وصفها وإنعام النظر في تدقيق البحث عنها وذلك في كتابهِ الجليل المترجم « بكتاب ابكار الافكار » وهو غير مطبوع الى يومنا هذا وعزيز الوجود. ولهذا أُورد كلامهُ هنا بتمامهِ اولًا اثباتًا لدرر كلامهِ ومعرفة مقالهِ وثانيًا إقرارًا بفضلهِ وعلوّ مكان كمالهِ. قال ولله درُّهُ من قائل:

« الفرقة الاولى: « اصحاب الرُوحانيات » وقد يقال ذلك بالرفع (١ أخذًا من الرُوح وهو جوهرٌ. وقد يُقال بالنصب (٢ وهو حالة خاصة بهِ. وقد زعم هؤلاء ان اصل وجود العالم يتقدس عن سمات الحدَث (٣ وهو اجلّ واعلى من ان يُتوصَّل الى جلالهِ بالعبودية لهُ والخدمة من السفليَّات وذوات الانفس المتغسة في عالم الوذائل والشهوات. وانما يُتقرَّب اليهِ بالمتوسطات بينهُ وبين السفليَّات وهي امور روحانيَّة مقدسة عن الموادّ الجرمانيَّة (٤ والقوى الجسمانية. والحركات المكانيَّة. والتغيّرات الزمانيَّة. في جوار ربّ العالمين. مجبولون على تقديسهِ وتمجيدهِ وتعظيمهِ دائمًا وسرمدًا. قالوا: وهم إلهتنا واربابنا ووسائلنا (٥ الى حاجاتنا. وبهم يُتقرَّب الى الله تعالى. وهي المديرة للكواكب الفلكيَّة. والمدبّرة لها على التناسب المخصوص بحيث يتبعها انفعالات في العناصر السفليَّة وحركات بعضها الى بعض وانفعال بعضها عن بعض عند الاختلاط والامتزاج المُفضي الى التركُّب الموجب لتنوُّع المركَّبات الى أنواع المعادن والنبات

١) اي بضمّ الراء (رُوحانيَّات)
٢) أي بفتح الراء (رَوْحانيَّات)
٣) قلتُ: وفي نسخة الحدثان
٤) قلتُ: الجرمانية نسبةً الى الجرم
٥) وفي نسخة: ووسائطنا بواو عوض الراء

والحيوانات وتصريف موجودات الاعيان من حالٍ الى حال ومن شانٍ الى شان الى غير ذلك من الآثار العلوية والسفلية. وزعموا انَّ الكواكب الفلكية هي هياكل هذه الروحانيات (les éons) وان نسبة الروحانيَّات اليها في التقدير (١ لها والتكوين نسبة الأنفس الانسانيَّة الى ابدانها. وانَّ لكل روحاني هيكلًا يخصُّهُ. ولكل هيكلٍ فلكًا يكون فيهِ. وزعموا ان المعرَّف لهم غارميون (٢ وهرمس اللذان هما اصل علم الهيئة وصناعة التنجامة. وهرمس (٣ هو اوَّل من قسَّم البروج ووضع اسماءها واسماء الكواكب السيَّارة ورتَّبها في بيوتها وبيَّن الشرف والوبال والاوج والحضيض والمناظر والتثليث والتسديس والتربيع والمقابلة والمقارنة والرجوع والاستقامة والميل والتعديل واستدلَّ باستخراج اكثر الكواكب واحوالها وقيل ان غارميون هو شيث وهرمس هو ادريس عم (٤

« الفرقة الثانية : « اصحاب الهياكل » فانهم قالوا اذا كان لا بدَّ للانسان من متوسِّط فلا بُدَّ من ان يكون ذلك المتوسِّط ممَّا نشاهدهُ ونراهُ حتى نتقرَّب اليهِ. والروحانيَّات ليست كذلك فلا بدَّ من متوسِّط بينها وبين الانسان. وأقرب ما اليها هياكلها فهي الآلهة والارباب المعبودة والله تعالى رب الارباب واليها التوسّل والتقرّب. فان التقرُّب اليها تقرُّبٌ الى الروحانيَّات التي هي كالارواح بالنسبة اليها. ولا جرم انهم دعوا الى عبادة الكواكب السبعة السيَّارة ثم اخذوا في تعريفها وتعريف احوالها بالنسبة الى طبائعها وبيوتها ومنازلها ومطالعها ومغاربها واتصالاتها ونسبتها الى الاماكن والازمان والليالي والساعات وما دونها الى غير ذلك. ثمَّ تقرَّبوا الى كل هيكل وسألوهُ بما يناسبهُ من الدعوات فيما يناسبهُ من الاماكن والازمان واللباس الخاصّ بهِ والتختُّم بالخاتم المطبوع على صورتهِ. والهياكل عندهم احياء ناطقة بحياة الروحانيَّات التي هي ارواحها ومتصرِّفة

---

١) وفي نسخة : في التدبير

٢) وفي نسخة آخرة : عادميون . بين في الاول عوضًا عن النون المعجمة وبدالٍ عوضًا عن الراء . والاصح ان يقال اغاثاذيمون. كما جاء في تاريخ الدول لابن العبري في الصفحة ١٢ من الطبعة الصالحانيَّة . وقد جاءت هذه الكلمة هكذا : ناذيمون بذالٍ معجمة في طبعة كتاب الملل والنحل للشهرستاني المطبوع على الحجر بالمطبعة الثانية ص ١٥٢ وفي طبعة لندن ص ٢٠٢ . اما اليوم فيسمّي الصابئة ذَيْمُون او دَيانا ( ) ٣) ويسمي الصابئة الحاليون : هرمز ( )

٤) قلتُ : ومذهب صابئة العراق في يومنا هذا هو مذهب هذه الفرقة بعينهِ لا ينقص منهُ ذرَّة ولا يخالفهُ بشيء . ولو كان زهيدًا

فيها . ومنهم من جعل هيكل الشمس ربّ الهياكل والارباب . وهذه الهياكل هي المدبرة لكل مـا في عالم الكون والفساد على ما سلف ذكرهُ في تعريف مذهب الفريق الاول . وربّما احتجّوا على وجود هذه المدبّرات وانها احياء ناطقة بان حدوث الحوادث امّا ان يكون مستندًا الى حادثٍ او قديم . ولا جائز ان يكون مستندًا الى حادث اذ الكلام فيه كالكلام في الاول والتسلسل والدَّور مُحالان فلم يبقَ الّا ان يكون مستندًا الى ما هو في نفسهِ قديم . وذلك القديم امّا ان يكون موجبًا بذاتهِ او بالاختيار . فان كان الاول فامّا ان يكون كل ما لا بدّ منهُ في ايجاد الحوادث متحقّقًا معهُ او انهُ متوقف على تجدّد . فان كان الاوّل فيلزم قِدَم المعلول والقـدم علّتهُ وشرطهُ وهو محال . وان كان الثاني فالكلام في تجدّد ذلك الامر كالكلام في الاول وهو تسلسلٌ . فلم يبقَ الّا ان يكون فاعلًا مختارًا وليس في عالم الكون والفساد فاعل قديم مختار الّا الافلاك والكواكب ولذلك حكموا بكونها احياء ناطقة

« الفرقة الثالثة : » « اصحاب الاشخاص » هؤلاء زعموا انهُ اذا كان لا بدّ من متوسط مرئيّ فالكواكب وان كانت مرئيّة الّا انهـا قد تُرى في وقتٍ دون وقت لطلوعها وافولها وظهورها وصفائها نهارًا . فدعت الحاجة الى وجود اشخاص مشاهدة تُنصب اعيننا تكون لنا وسيلة الى الهياكل التي هي وسيلة الى الروحانيّات التي هي وسيلة الى الله تعالى . فاتخـذوا لذلك اصنامًا مصوّرةً على صور الهياكل السبعة كل صنم من جسم مشارك في طبيعتهِ لطبيعة ذلك الكوكب ودعوهُ وسألوهُ بما يناسب ذلك الكوكب في الوقت والمكان واللبس والتختّم بما يناسبهُ والتخيّر المناسب لهُ على حسب ما يفعلهُ ارباب الهياكل الّا انها هي المعبودة على الحقيقة . وهذا هو الأشبه بسبب اتخاذ الاصنام . ويُحتمل ان يكون اتخاذ الاصنام بالنسبة الى غير هذه الفرقة وتعظيمها لاتخاذها قِبلةً لعباداتهم . او لانها على صورة بعض من كان يُعتقَد فيهِ النبوّة والولاية تعظيمًا لهُ . او لان قدماء ارباب الهياكل والاصنام وعلماءهم ركّبوا طلاسم ووضعوها فيها وامروهم بتعظيمها لتبقى محفوظةً بها . والّا فاعتقاد الالهيّة فيما اتخذوا صورًا من الاخشاب والاحجار وكونهُ خالقًا لمن صوّرهُ ومبدعًا لما وجودهُ قبـل وجودهِ من العالم العلوي والسفلي ممّا لا يستجيزهُ عقل عاقل . بل البداهة شاهدة بردّه وابطاله وان وقع ذلك معتقد البعض الرقاع (كذا) ومن لا خلاق لهُ من العوامّ منهم فلا يُلتفت اليهِ ولا معوّل عليهِ

« الفرقة الرابعة : « الحلوليّة »(١ وهؤلاء زعموا انّ الإله المعبود واحد في ذاتهِ وانهُ ابدع أجرام الافلاك وما فيها من الكواكب . وجعل الكواكب مدبّرًا لما في العالم السفلي . فالكواكب آباء أحياء ناطقة والعناصر أمهات . وما تؤديهِ الآباء من الآثار الى الامهات تقبلها بارحامها فتحصل من ذلك المواليد وهي المركّبات . والإله تعالى يظهر في الكواكب السبعة ويتشخّص باشخاصها من غير تعدّد في ذاتهِ وقد يظهر ايضًا في الاشخاص الارضيّة الخيّرة الفاضلة . وهي ما كان من المواليد وقد يتركّب من صفو العناصر دون كدرها . واختصّ بالمزاج القابل الظهور الرب تعالى فيهِ اما ذاتهُ واما صفة من صفات ذاتهِ على قدر استعداد مزاج ذلك الشخص . وزعموا انّ الله يتعالى عن خلق الشرور والقبائح والاشياء الخسيسة الدنيّة كالحشرات الارضيّة ونحوها بل هي واقعة ضرورة اتصالات الكواكب سعادةً ونحوسةً واجتماعات العناصر صفوةً وكدورةً . وزعموا ايضًا انهُ على رأس ستة وثلاثين الف سنة واربعمائة وخمس وعشرين سنة يحدث روحاني على رأس الدور الآخر وكذا الى ما لا يتناهى . وان الثواب والعقاب على افعال الخير والشرّ كل دور واقع لكن في الدور الذي بعدهُ في هذه الدار لا في غيرها

والصابئة على اختلافهم في المبادئ متفقون على وجوب ثلاث صلوات لهم والاغتسال من الجنابة ومسّ الميت وعلى تحريم لحم الخنزير والكلب والجزور وما لهُ مخلبٌ من الطير والسكر . واموا بالنكاح بوليّ وشهود ونهوا عن الجمع بين امرأتين (٢ وعن الطلاق الّا بحكم حاكم شرعيّ . الى كثير من الاحكام المشروعة في شرعنا هذا » اه كلام سيف الدين الآمدي

وقد ذكر ابن خلدون هذه الفِرَق بعبارةٍ اخرى قال :

« ان الصابئة هم القائلون بالهياكل والارباب السماوية والاصنام الارضيّة وانكار النبوات وهم اصناف وبينهم وبين الحنفاء مناظرات وحروب مهلكة . وتولّدت من مذاهبهم الحكمة الملطيّة . ومنهم أصحاب الروحانيّات وهم عبّاد الكواكب واصنامهم التي عُملت على تمثالها . اما الحنفاء فهم

١) كذا في النسخة التي بيدي . وسماها ابن بطوطة بالحرّانيّة . وهو عندي اصحّ . وسماها الشهرستاني الحرّيانيّة وهو تصحيف ظاهر مرغوب عنهُ . وزاد قائلًا : والحرّيانية ينسبون مقالتهم الى عاديمون وهرمس وأغاثا (كذا والاصح طي ما علمهُ من كتبهم الحالية أغاثا ديمون) واواذى (كذا والاصح اواثر) اربعة من الانبياء

٢) قلت هذا غير صحيح

القائلون بانَّ الروحانيات منها ما وجودها بالقوَّة ومنها ما وجودها بالفعل. فما هو بالقوَّة يحتاج الى ما يوجده بالفعل ويقرُّون بنبوة ابرهيم وانهُ منهم وهم طوائف منها: الكاظمة اصحاب كاظم بن تارح. ومن قولهِ ان الحق بين شريعة ادريس وشريعة نوح وشريعة ابرهيم. ومنها: اليدانية اصحاب بيدان الاصغر. ومن قولهِ اعتقاد نبوة من يفهم عالم الروح وان النبوة من امرار الالهية. ومنها: القنطارية اصحاب قنطار (والاصح قينانية اصحاب قينان) بن ارفكشاد ويقرّ بنبوة نوح. ومنها: اصحاب الهياكل ويرون الشمس إله كلّ اله. والمرّانية. ومن قولهم: المعبود واحدٌ بالذات وكثير بالاشخاص في رأي العيان وهي المدبّرات السبع من الكواكب والاشخاص الارضية المنيرة العالمة الفاضلة » اه

وبين اسماء هذه الفرق واسماء الفرق التي ذكرها سيف الدين الآمدي بونٌ بعيد بيّن غير ان الفرق التي ذكرها هذا العلامة الاخير هي اصحّ لانها تنطبق على حقائق راهنة ومذاهب ذكرها اغلب المؤرخين والعلماء.

طور ادخال آراء نصرانيَّة فيها او الطور الاخير

بقي الصابئة دهرًا طويلًا ذاهبين مذاهب الفلاسفة العظام. خابطين فيها ولا خبط عشواء في حالك الظلام. حتى انتضى فضل الصباح الانجيلي. وبرز جبين الصباح الجليلي. بعد ان سبقتهُ تباشيرهُ بقليل من الزمان. بشخص الوليّ الاعظم يوحنّا المعمدان. الذي نفذت كلمتهُ في القوم. اذ لم يُرَ مثلهُ الى ذلك اليوم. لا بل وان السيد المسيح. طلب منهُ العماد بكلام جلي فصيح. فرأى البعض في ذلك علوَّ منزلة الحضور. فوق منزلة المسيح الطاهر الطهور. وقد حاول الصابغ مراتٍ كثيرة. صدّ تلامذتهِ عن هذه الاوهام الكبيرة. فكأنهُ كان يضرب في حديد بارد. او يُوردهم شرَّ الموارد. فلجأ الى وسيلة ظنَّ انها تكون الضربة القاضية. وانها تفعل فيهم فعل السيوف الماضية. وذلك انهُ « ارسل اثنين من تلامذتهِ يقولون لهُ: أأنت الآتي ام ننتظر آخر » (متى ١١: ٣) وكما اننا نعلم العلم اليقين ان يوحنا لم يشكّ ساعةً بالوهيَّة المسيح وبمهمّتهِ لفداء العالم. لم تكن اذن الغاية من هذا الاستفسار والاستخبار الّا تهذيب عقول تلامذتهِ الذين لم تنجع فيهم اساليب الكلام فأراد بهذه الواسطة ان يُري لبعض من تلامذتهِ الشاكّين المرتابين ان اعمال المسيح التي يراها الشاهدان رأي العيان انما هي آيٌ لا يأتيها الّا من كان نبيًّا عظيم الشأن او إلهًا حقيقيًّا لهُ مل. السلطان. على عناصر الارض والاكوان. واننا لا نشك في ان كثيرين من هؤلاء التلامذة المتتلمذين ليوحنّا المعمدان بقوا على عماهم وران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وانضمّوا بعد ذلك الى بعض المتشدّقين

المتفلسفين الذين أرادوا ان يجمعوا بين مخترعات ومبتدعات مخيلتهم وبين التعاليم الصحيحة وانتحلوا لهم اسم « مَنداني دَيهي » اي تبعة يحيى

وذلك انهُ لمَّا صعد المسيح الى السماء واخذ رسلهُ يبشرون بالانجيل قام وقتئذٍ واحد ممَّن آمن بابن الله واعتمد على ايدي الرسل واسمهُ سيمون ينشر وباء تعاليم فاسدة لان الحواريين لم يعطوهُ ذلك الذي ينال بهِ الانسان حلول الروح القدس على من توضع عليهِ ايدي المزوَّد بتلك القوَّة (راجع اعمال الرسل في الفصل الثامن) وكان من امرهِ انهُ فيما بعد ذلك غدا رأساً للشيعة المشؤومة التي سُمِّيت بعد زمان باسم « الأدرية » (gnostiques). ثم جاء بعدهُ من حذا حذوهُ واقتفى اثرهُ من مثل كَرْيكراس وباسيليد وفالنتين وساترنين الانطاكي ومَيْندَر السامري فطبَّقت مذاهبهم الشرق كلهُ واندفع وراءهم تلامذة يوحنَّا الضالون وادخلوا في معتقدهم شيئاً كثيرًا من آراء الأدريين واقوالهم الدينيَّة وسُننهم واحكامهم حتى أصبحوا ادريين حقيقيين لا غير كما تشهد بذلك كتبهم الدينيَّة الحاليَّة. وكما ينطق بهذه الحقيقة الراهنة معنى اسمهم الحقيقي باسانهم وهو « مَندايي » الذي معناهُ: « أدوثيون » كما سنثبتهُ في موضعهِ فيما يلي. وهو امر لم ينتبه اليهِ حتى الساعة علماء الافرنج وحكماء الشرق والكتبة عن الملل والنحل

وانما هؤلاء التلامذة وقعوا في مهواة هذه الغواة لان ذلك من نتيجة اصحاب الضلال فانهم يتشبَّثون بكل بدعة جديدة طلباً للحق الذي يشعرون بخلوهم منهُ فتتعدَّد بينهم الاقاويل وتكثر فيهم الاضاليل ولا يمكنهم التثبُّت في صراط واحد لانَّ مثل هذا هو من خواصّ الحقيقة التي لا تكون الَّا واحدة ثابتة غير متزعزعة. ولهذا قام بينهم مُصلحون كثيرون وائمَّة عديدون حتى ازدادت بعد ذلك تلك الفرق ولم يكن من الممكن حصرها اذ كل واحدة تدَّعي بالحقّ والحقّ بريء منها

هذا وكما ان في ديانة الادريين شيئاً كثيرًا من ديانة النصارى ظنَّ بعضهم انهم فرقة منهم حتى انهم سمَّوهم بنصارى يوحنا المعمدان (Chrétiens de S^t. Jean-Baptiste) لكن هذا خطأ وزلل لا بل خطَّأ جلَّ ركب متنهُ الافرنج ولم يقل بهِ احدٌ من ابناء الشرق الَّا باستنادهم على أقوال ابناء الغرب او نقلاً عنهم. وهذه التسمية لا تليق بهم ولا تحسن ولا هم ينتحلونها لنفسهم لانَّ « المسيحي » من آمن « بإلهيَّة المسيح لا بنبوتهِ » والحال ان المندائيين لا يؤمنون لا بلاهوتهِ ولا بنبوتهِ ان استقرينا ديانتهم

في كتبهم الدينيَّة . فكيف تجوز للبعض تسميتهم بالنصارى . اللهمَّ الَّا أن يُقال انَّما سمَّاهم البعض بالنصارى لان اصل الادريين من النصارى فيكون ذلك حينئذٍ من باب تسمية الشيء باسم ما كان عليهِ في اصلهِ . قلنا : ان هذا التأويل وان كان جائزًا وجاريًا في الكلم اللغويَّة الَّا انهُ لا يجوز في المصطلحات الدينيَّة اذ في مثل هذه الامور يجب التدقيق التـام والتحقيق الكامل . والَّا اختلط الحابل بالنابل . ولم يُعرف العاقل من الجاهل . والمتديِّن بدين الحقّ الصادع . من المتديِّن الكاذب المموِّه بالظواهر الخوادع

هذا ونقف عند هذا الحدّ من الاطوار العظام . وهو الطور الاخير الذي انتبت اليهِ الصابئة في أُخريات الأيام . وفي ما نوردهُ بعـد ذلك من الكلام . امور تثبت ما اسلفناهُ من تعريف هذه الفرق او هذه الاقسام . ومن الله التوفيق الى سواء سبيل المرام

(ستأتي البقيَّة)

وصف الصين للقلقشندي

نبذةٌ تولى نشرها الاب هنري لامنس اليسوعي

عثرنا في كتاب صبح الاعشى للقلقشندي على نبذة في وصف مملكة الصين فاحببنا اثباتها هنا بنسبة الحوادث التي تجري اليوم في الشرق الاقصى . وجلُّ ما يُستفاد من هذه النبذة انَّا تمرَّنا احوال الصين في بداية القرن الخامس عشر وقد ضمَّنها المؤلف خلاصة ما وجدهُ في بعض كتب البلدان التي اشتهرت في زمانهِ واخذت فسحًا منهـا يدُ الضياع . امَّا القلقشندي فقد سبق ذكرهُ في المشرق غير مرَّة (٣ : ٢١٠ و ٦ : ١٤) فلا حاجة للتكرار

مملكة القان (١ الاكبر

قال في التعريف (٢ : وهو اكبر الثلاثة يعني ملوك الاقسام الثلثة المتقدِّمة الذكر (٣

١) القان ملك التتار ويقال لهُ ايضًا الخان . وجاء في ابن العبري قان بالقاف هاربين

٢) هو كتاب « التعريف بالمصطلح الشريف » للقاضي شهاب الدين ابي العبَّاس احمد بن يحيى المعروف بابن فضل الله العمري الدمشقي مولدًا وهو كتاب واسع ضمَّنهُ مراسم الملك وما يتعلَّق بهِ . وفي المكتبة الخديوية (٦ : ١٣٩) منهُ نسخة . توفِّي مؤلفهُ في مصر سنة ٧٠٠ (١٣٠٠م)

٣) قسم القلقشنديّ مملكة تتران الى ثلاثة اقسام كما في كتاب التعريف يشمل القسم الاول غزنة وبخارى وماوراء النهر والقسم الثاني بلاد خوارزم والقبجاق والقسم الثالث الصين وانحطا ودعاه مملكة القان الاكبر

وهو صاحب الصين والخطا (١ ووارث تخت جنكزخان (٢ . قال: وقد تواترت الاخبار بانهُ اسلم ودان بدين الاسلام ورفع كلمة التوحيد على ذوائب الاعلام. قال: وان صح وهو المؤمَّل (٣ فقد ملأت الأمة المحمديَّة الخافقين وعمَّرت المشرق والمغرب وامتدَّت بين ضفتَيْ البحر المحيط. قال في مسالك الابصار (٤: وهو القائم مقام جنكزخان (٥ والجالس على تختهِ. قال: وهو الخليفة على بني عمهِ من بقيَّة ملوك توران من مملكة ايران وصاحب القبجاق وصاحب ما وراء النهر فاذا تجدَّد في مملكة احد منهم مهم كبير مثل لقاء عسكر او قتل امير كبير بذنب او ما يناسب ذلك ارسل اليهِ واعلمهُ بهِ وان كان لا افتقار الى استئذانهِ ولكنَّها عادة مرعيَّة بينهم. وقد ذكر في مسالك الابصار عن نظام الدين بن الحكيم الطياري: انهُ لم يزل يكتب الى كل من القانات الثلاثة بأمرهم بالاتحاد والالفة واذا كتب اليهم بدأ باسمهِ قبلهم وان كتبوا اليهِ بدأوا باسمهِ قبلهم. قال: وكلهم مذعنون لهُ بالتقدُّم عليهم. قال في مسالك الابصار: واهل هذه المملكة هم اهل الاعمال اللطيفة والصنائع البديعة التي سلَّمت اليهم بها الامم وقد كُتبت الكتب عن احوالهم بما اغنى عن ذكرهِ. قال: ومن عادة الجيدين في الصنائع انهم اذا عملوا عملًا بديعًا حملوهُ الى باب الملك وعُلِّق عليهِ ليراهُ الناس ويبقى سنة فان سَلِمَ من عائب اسدى الى صاحبهِ الاحسان وان عِيب عليهِ وتوجَّه العيب وضع قدر الصانع ولم يوجه العيب الى من عابهُ

وقد حكى المسعودي في مروج الذهب (٦ ان صانعًا صوَّر عصفورًا على سنبلة في نقش ثوب كمخا وعلَّقهُ فاستحسنهُ كل من رآهُ حتى مرَّ بهِ رجل فعابهُ باستقامة السنبلة لان العصفور من شأنهِ اذا وضع على السنبلة امالها. وحكى في مسالك الابصار عن بدر

١) سيأتي ذكر الخطا قريبًا

٢) فتح الصين قوبلاي حفيد جنكزخان سنة ١٢٦٠ م وبهِ ابتدأت عندهم الدولة المغولية المعروفة بدولة يوان التي ملكت الى سنة ١٣٦٨

٣) لم يتحقَّق هذا الامل فان امراء المغول في الصين مع سيلهم الى الاسلام تبعوا ديانة الصين القديمة

٤) مسالك الابصار في اخبار ملوك الامصار تأليفٌ وضعهُ ابن فضل الله الدمشقي المتوفى سنة ٧٤٩ هـ (١٣٤٨ م) في عشرين مجلدًا

٥) جنكز خان هو الفاتح الكبير الذي انشأ دولة المغول فتوفي سنة ١٢٢٧. راجع اخبارهُ في كتاب تاريخ الدول لابن العبري (ص ٣٩٥–٤٣٨)

٦) راجع ايضًا مجاني الادب ١: ١٢٦

الدين حسن الاسعردي ان بعض صنّاعهم عمل ثيابًا من الورق وباعها على انها من الكمخاوات الخطائية لا يشكّ فيها شاكّ ثم اظهرهم على ذلك فعجبوا منهُ. وحُكي عن الشريف حسن السمرقندي(١ انهُ كان بهذه البلاد فشكى ضرسهُ فاراهُ لرجل من الخطا فوضع يدهُ عليهِ فاخرج منهُ قطعة متأكلة ووضع مكانها قطعة من ضرس اجنبي ودهنهُ بدهن وامره ان لا يشرب ماء يومهُ فالتصق حتى صار كأنهُ من اصل الحاقة الّا انّ لون الاول بيّن من لون الثاني. وذكر المرّ الشهابي(٢ انهُ رآهُ لهُ بحضرة الشيخ شمس الدين الاصفهاني وجماعة من اهل العلم. قال بدر الدين حسن الاسعردي: ولقد رأيت منهم من هذه الاعمال ما يحار فيهِ العقل ويحصل الغرض منهُ في خمس جمل

الجملة الاولى

فيما اشتملت عليهِ هذه المملكة من الاقاليم

واعلم ان هذه المملكة هي اوسع ممالك بني جنكزخان وافسحها جوانب واكثرها اقاليم واوفرها مدنًا غير انها بعيدة المسافة منقطعة الاخبار فلذلك جُهلت اسماء اقاليمها وتعذرت الاحاطة باقطارها ونحن نورد منها ما شاع ذكرهُ في الآفاق وانتشر ونقنع من التفصيل بالجملة ونكتفي من البحر بالنَّبذة. والقول الجملي في ذلك انهُ يشتمل على اقليمين عظيمين

الاقليم الاول: الصين

قال في تقويم البلدان: وهو من جهة الغرب المفاوز التي بينهُ وبين الهند ويحيط بهِ من جهة الجنوب البحر يعني بحر الهند (٣ ويحيط بهِ من جهة الشرق البحر المحيط ويحيط بهِ من جهة الشمال ارض يأجوج ومأجوج وغيرها من الاراضي المنقطعة الاخبار عنّا. ثمّ قال: وقد ذكر اصحاب المسالك والممالك في كتبهم بلادًا كثيرة ومواضع وانهارًا وغيرها في اقليم الصين ولم يقع لنا ضبط اسمائها ولا تحقيق احوالها فصارت كالمجهولة لنا لعدم من يصل من تلك النواحي من المسافرين الينا لنستعلم منهُ اخبارها فاضربنا عن

١) هو الشريف تاج الدين حسن بن جلال السمرقندي الوارد ذكرهُ آنفًا

٢) هو شهاب الدين صاحب التعريف الذي مر ذكرهُ (ص ٤٠٦)

٣) هذا باعتبار الهند الصينية قسمًا من دولة الصين. وكلّ هذا الوصف نقلهُ المؤلف من تقويم البلدان لابي الفداء

ذكرها . وقد ذكر في مسالك الابصار عن الشريف تاج الدين حسن بن الجمال السمرقندي وهو من السفّار وممن جال الآفاق ودخل الصين وجال بلادهُ وجاب آفاقهُ وجاس خلالهُ وجال في اقطارهِ انَّ بالصين الف مدينة وانهُ دارَ الكبير منها قال: وبلاد الصين كلها عمارة متصلة من بلد الى بلد ومن قرية الى قرية

وقاعدة هذه المملكة (خانْ بالق (١) قال في تقويم البلدان: هي مدينة من اقاصي الشرق عند بلاد الخطا واقعة في الاقليم الرابع من الاقاليم السبعة . قال ابن سعيد: حيث الطول مائة واربع عشرة درجة والعرض خمس وثلثون درجة وخمس وعشرون دقيقة وهي قاعدة مشهورة على ألسنة التجار واهلها من جنس الخطا وعندهم معادن الفضّة . قال ابن سعيد: ويُذكر عن عظم هذه المدينة ما يستبعدهُ العقل . قال في مسالك الابصار نقلًا عن الشريف حسن بن الجمال السمرقندي: ان مدينة خان بالق المذكورة مدينتان (٢ قديمة وجديدة . والجديدة منهما اسسها ديدو بناها ديدو آخر ملوكها فسميت باسمهِ والقان الكبير ينزل بوسطها في قصر عظيم يسمّى كوك طاق (٣ ومعناهُ بلغة المغل القصر الاخضر لان الطاق معناهُ عندهم القصر وكوك معناهُ الاخضر ومنازل الامراء حولهُ خارج القصر . قال: وهي مدينة طيبة واسعة الاقوات رخيّة الاسعار ويجمد بها الماء في زمن الشتاء فيصير كالثلج فيُرفع الى ايام الصيف حتى يبرَّد بهِ الماء كما يُبرَّد بالثلج ويشق مدينة ديدو المذكورة نهر (٤ وبها انواع الفواكه الّا العنب فانهُ قليل بها وليس بها تارنج ولا ليمون زيتون ثم يعمل بها السكّر وبها من انواع الزرع والجمال والخيل والبقر والغنم ما لا يدخل تحت الاحصاء وبالصين مدن مشهورة سواها

منها (تُراقُوم (٥ هي مدينة في اقاصي بلاد التُرك الشرقيّة ومعنى تراقوم باللغة التركية الرمل الاسود لان ترا في لغتهم بمعنى الاسود وقوم بمعنى الرمل . وقع في

---

١) خان بالق من اسماء مدينة پاكين (راجع المشرق ٣: ٧٤٥)

٢) پاكين الى يومنا هذا تنقسم الى مدينتين المدينة التاترية او المغوليّة والمدينة الصينية

٣) هذا القصر موقعهُ في وسط المدينة التاترية قد وصفهُ ابن بطوطة في رحلتهِ (٤: ٢٩٧)

٤) والصواب انَّ الذي يشق المدينة ليس نهر بل ترعة كبيرة

٥) ويقال تراقرم ايضًا (ابن بطوطة ٤: ٣٠٣). وعلى هذه الصورة اوردها الجغرافيون الاوربيّون (راجع جغرافيّة روكلو Reclus : *Nouvelle geog. universelle* VII 284

كثير من الكتب قراقُرم بابدال الواو راء وهو خطاء. وانما كتبت الواو بها بعد القاف دليلًا على الضنّة على عادتهم في ذلك وموقعها في الاقليم الثالث من الاقاليم السبعة. قال ابن سعيد: حيث الطول مائة وست وخمسون درجة والعرض خمس وثلثون درجة وخمس وعشرون دقيقة. قال: وهي كانت قاعدة التتر وفي جهاتها بلاد المغل وهم خالصة التتر ومنها خاناتهم. قال الشريف حسن بن الجمال السمرقندي: وفيها غالب عساكر القان الكبير وبها يعمل القماش الفاخر والصنائع الفائقة وغالب ما يحتاج اليه القان يستدعى منها لانها دار استعمال واهلها اهل صنائع فائقة. قال في مسالك الابصار: وهي قرية جنكزخان التي اخرجتهُ وعرّيستهُ التي ادرجتهُ

ومنها « الخنسا (١)» قال في تقويم البلدان: هي مدينة واقعة في الاقليم الثالث من الاقاليم السبعة. قال في تقويم البلدان: حيث الطول مائة وخمس وستون درجة واربعون دقيقة والعرض ثمان وعشرون درجة وثلثون دقيقة. قال: وعن بعض المسافرين من بلادنا ان الخنسا في هذا الزمان اعظم فُرَض الصين واليها ينتهي وصول التجّار المسافرين من بلادنا. قال الشريف السمرقندي وطول الخنسا يوم كامل (٢ وعرضها نصف يوم وفي وسطها سوق واحد ممتدّ من اولها الى آخرها واسواقها مبلّطة بالبلاط وبناؤها خمس طبقات بعضها فوق بعض وكلها مبنيّة بالاخشاب والمسامير. وشرب اهلها من الآبار واهلها في قشف عظيم وغالب اكلهم لحوم الجاموس والاوز والدجاج. وفيها الارزّ والموز وقصب السكّر والليمون وقليل من الرمان واسعارها متوسّطة ويجاب اليها الغنم والقمح على قلة ولا يوجد فيها من الخيل الّا ما قلّت عند اعيانها واما الجمال فلا توجد فيها البتة فان دخلها جمل تعجّبوا منهُ ونقل في مسالك الابصار ان بينها وبين جالق (كذا) بالق اربعين يوماً. وحُكي عن الصدر صدر الدين عبد الوهاب بن الحداد البغدادي انهُ

---

١) هي مدينة هانغ تشيو (راجع المشرق ٣: ٨٤٦). ودعاها ابو الفداء في تقويم البلدان: خانقو. قال (ص ٣٦٢): خانقو المعروفة في زماننا بالخنسا.

٢) وقد زاد ابن بطوطة على هذا الوصف فجعل (٤: ٢٨٤) طول هذه المدينة مسيرة ثلاثة ايام. وكذلك الرحالة ماركو پاولو (١٢٥٣–١٢٢٣) استرسل في وصف هذه المدينة وهو يدعوها كنساي (Quinsay) ويذكر ان لها ١٦٠٠٠٠ بيت و ٣٠٠٠ حمّام و ١٢٠٠٠ جسر من حجر يقوم على حراسة كلّ جسر عشرة رجال فهذا الوصف مع ما فيهِ من الغلو يدل على خطر المدينة وعظم شأنها ودائرتها اليوم تبلغ ٢٠ كيلومترًا

وصل الى الحنطاء ووصف عظمة بنائها ومنعة رفعة مدينتها مع تشحط الاقوات بها ووفور المكاسب فيها ورخص الدقيق الجيد فيها وفي جميع تلك البلاد. قال: واهلها يتفاخرون بكثرة الجواري والسراري حتى انهُ ليوجد لاحد التجار واحاد الناس اربعون سرّية فما زاد على ذلك

ومنها " الزيتون(١) » قال في تقويم البلدان عن بعض المسافرين الثقات: هي بلفظة الزيتون الذي يُعصر منهُ الزيت وهي فُرضة من فُرَض الصين موقعها في الاقليم الاول من الاقاليم السبعة. قال ابن سعيد: حيث الطول مائة واربع عشرة درجة والعرض سبع عشرة . درجة قال: وهي مدينة مشهورة على السنة التجار المسافرين الى تلك البلاد وهي على خور من البحر والمراكب تدخل اليها من بحر الصين في الخور المذكور وقدره نحو خمسة عشر ميلاً ولها نهر عند رأس الخور المذكور. وذكر في مسالك الابصار عن الشريف السمرقندي ان مدينة الزيتون على البحر المحيط وهي آخر العمارة. قال: وبينها وبين جالق بالق شهر واحد (التتمة لعدد آخر)

تدبير الصحة في بيروت

لجناب الدكتور حبيب افندي درعوني (تابع لما سبق)

آثار بيروت الجوية

بردها

اذا ما سمعنا اهل الجبل يشكون في بيروت تباريح بردها الشتوي ويؤكدون انّ لقرّها نفحات لا يشعرون بمثلها في قراهم ربّما حملنا قولهم على الغلوّ والمبالغة مع انهُ لا يخلو من صحّة لانّ البرد في مواطنهم الجبليّة يكون في الغالب ناشفاً لا ينفذ مسامّ البدن كبرد بيروت المشبّع رطوبة. وعلاوةً على ذلك ترى البيوت في لبنان مجهّزة بالمواقد فيتقي الاهلون كآب الشتاء بالاصطلاء بالنار. اما بيروت فما دأب سكّانها سوى ان يزخرفوا بيوتهم فتراهم يبتاعون من الأثاث والرياش ما ليس تحتهُ كبير امر فيجعلون منازلهم متحف يعرضون فيهِ عدّة ادوات من آنية واصداف وتصاوير الى غير ذلك مما يعدّهُ اصحاب الذوق بهرجةً تافلة . وكان الاحرى بهم ان يفضّلوا في تجهيز

١) هي مدينة تونتنغ (راجع المشرق ٣: ٧٤٥)

البيوت ما يؤول الى امر الصحّة كتدفئة المسكن مثلاً. وبهذا يحسنون الاقتداء بالفرنج الذين يقدّمون في تأثيث دُورهم ما فيه راحة البدن على اسباب الزخرف

واني ارى تدفئة البيوت في بيروت من الامور الضروريّة لاتقاء الرطوبة الزائدة التي تحدث في هذه المدينة ولعلّ هذه الواسطة احسن طريقة لازالة النزلات الصدريّة والزكام كما سنبيّن ذلك في كلامنا عن المساكن. والأولى ان تُختار لذلك موقدة (cheminée) تكون على شكل حاملة (console) فتفيد الصحّة وزينة البيت معاً

ربيع بيروت طيّب والسماء في هذا الفصل صافية الاديم اللهمّ إلّا لم يتمدّد الشتاء طوره ويجرّ ذيله الى شهر ايار فيتكدّر اذ ذاك صفو الربيع وهذا من نوادر الامور. وفي هذا الفصل تهبّ السموم او الريح الشرقيّة التي يدعوها العامّة « بالشلوق » وهي تدوم أياماً وفي أيّان هبوبها يصعد ميزان الحرارة حتى يبلغ ٣٠° الى ٣٣° الّا انّ الرطوبة تجفّ وتتنفّذ فتهبط الى الدرجة ٣٥° و ٤٠° اي نحو نصف درجاتها العاديّة وكذلك يسقط البارومتر الى الدرجة ٧٤٥°. ولفحات السموم في بيروت اخفّ وطأةً منها في الجبل لرطوبة الهواء في جوار البحر

امّا الخريف فالغالب عليه الحرّ الى ١٤ ايلول. وهو تاريخ يألفه الجميع لانقلاب الهواء فيه. وفي ذلك الوقت تُجاد الارض بالوسميّ اى المطر الاوّل ثمّ يكرّ الحرّ ثانية فلا يتلطّف لظاهُ حتى يبطل الوليّ في اواسط تشرين الاوّل. واذا كانت اواسط تشرين الثاني تزل المطر وابلاً ضخم القطر شديد الوقوع فيدوم الى اواخر شباط بفترات معلومة. وفي غضون ذلك ينفح البرّ ويشتدّ البرد

امّا حرارة الصيف فقلّما تتجاوز الدرجة ٣١° او ٣٣° الّا انها ثقيلة الوطأة لدوامها على ميزان واحد بالتقريب في شهر تموز وآب وايلول وتشرين وخصوصاً لاستواء درجة الحرارة في الليل والنهار فلا يكاد الفرق بين اعلى درجة الحرارة عند العصر واسفلها عند الفجر يتجاوز درجتين. فتوالي الحرارة على معدّل واحد وكثرة الرطوبة الجويّة التي تُتندي الجسم بالعرق يضعفان البنية ويورثان البدن قرّ الدم المعروف بأنيميا البلاد الحارّة. وتحدث من جرّاء ذلك بثور جلديّة متنوّعة ويضطرب الجهازان الهضميّ والعصبي ويغلب الارق على النائم ويفقد المرء شهوة الطعام وذلك ممّا يزيد الدم فقراً والانيميا قوّة

فحالة الهواء هذه هي التي تضطرّ اهل بيروت الى الفرار من وقدات حرّ السواحل للاصطياف في قرى لبنان المتازة بطراوة جوّها وجودة هوائها وجميل مناظرها فضلًا عن انّ كل بلدة تختص بمزيّة معلومة توافق الامزجة على اختلافها. وبهذه النسبة نقترح على زملائنا الاطبّاء القاطنين في انحاء لبنان الخوض في هذا الموضوع فيصف كلٌّ منهم ما خصّ الله به ناحيتهُ من المزايا ويرصدها رصدًا علميًّا مدقّقًا مع بيان خواصّها الصحّيّة ليكون اهل المدن على بصيرة ويوجّه اطبّاء بيروت عيالها الى الجهات التي يرونها افضل وانسب لامزجتهم

الرياح

يؤخذ من رصد هبوب الرياح في بيروت انّ للريح الغربيّة فيها السهم المعلّى فانّها غالبة عليها بنسبة الخمسين بالمائة. واكثر هذه الارياح هبوبًا نكباء الغرب والجنوب ثمّ الدبور او الريح الغربيّة ثمّ نكباء الغرب والشمال امّا بقيّة الرياح فهبوبها يكون على الترتيب الآتي: الريح الجنوبيّة فالشماليّة فنكباء الشرق والشمال فالشرقيّة وهي اقلّها هبوبًا. وهذا جدول يبيّن حالة الرياح وتواتر هبوبها. وهو نتيجة ٤٠٤٦ رصدًا اجراها اصحاب الخبرة في مدّة اربع سنوات صباحًا وظهرًا ومساء

نكباء الجنوب	١٠٩٢	نكباء الشمال والغرب	٣٠٣
الدبور او الريح الغربية	٩٣٢	نكباء الشمال والشرق	١٩٤
الريح الجنوبية	٨١٦	الصبا او الشرقية	١١٢
الريح الشمالية	٥٩٢		

وهذه الرياح مع اختلاف مهبّها تكون في الغالب ليّنة رخاء. واذا اشتدّت قلّما تكون عاصفة. وان كانت الريح نافجةً فتنذر اذ ذاك بهطل الامطار المدرارة

ومن معرفة طبائع الرياح ومهابّها يمكن الوقوف على بعض القوانين الصحيّة التي اهتدى الاهلون الى شيء منها بالسليقة الواقية منها. جعلهم المطابخ والمراحيض في الجهة الشرقية لئلا تنبعث روائحها الكريهة الى داخل المسكن لو وُضعت في جهة الغرب حيث تتغلّب الريح الغربيّة على سواها

واذ تقرّر ذلك يتحتّم على السكّان ان يطلوا الجهة الغربيّة من منازلهم بشيد يمنع الرطوبة او برواق يقي الحيطان من الامطار التي تأتي بها الريح الغربيّة. ولهذه العلّة ايضًا يحسن بالبلديّة ان تغرس الاشجار في رمال رأس بيروت وتحوّل كشبان

الرمل فيها الى غايات تروق العين وتلطّف أوار الحرارة التي تحملها الريح بمرورها على تلك الناحية حتى اذا بلغت البلدة وطّبت الابدان دون ان تثير في الجوّ الهبوات والغبار. ولذلك يترتّب على الاهلين الّا يطرحوا نفاياتهم ويلقوا الاقذار على تلك الكثبان لانّ رائحتها تنتشر في المدينة بهبوب الريح الغربيّة عليها

امّا الريح الشماليّة فهي التي تُعرف في بيروت بالسماويّة ولعلّهم دعوها بذلك لصفاء السماء عند طلوعها. واكثر ما تهبّ هذه الريح في فصل الشتاء. وهي مشهورة بأذاها والحقّ يقال انهُ في ايّام نفحاتها تحصل النزلات على اختلافها كزكام الانف والحنجرة وشعب الرئة وغيرها. والسبب في ذلك اجتماع الرطوبة والبرودة فيها واذا هطل معها المطر دفعتهُ الى داخل البيوت من خلال الواجهات المطلّة على البحر شمالًا

(ستأتي البقية)

شجرة القشطة

لجناب الاديب الفاضل سليم افندي اصفر

القشطة احدى الاشجار المثمرة التي تحفنا بها العالم الجديد اصلها من جبال الأند في اميركة الشماليّة. وهي تُعرف بلسان العلم باسم انونا (anona cheirimolia) والفرنج يدعون شجرتها « anonier » او arbre à crême فعرّبها اهل بلادنا بشجرة القشطة وكان اوّل دخولها في برّ الشام في القرن السابق غرسها المرحوم عبد الله باشا اولًا في بستانهِ المعروف بقصر البهجة قرب عكّا نحو سنة ١٨٣٠ ولعلّهُ نقلها من مصر. ثم غرسها في بيروت الخواجا الياس مفتّي حيث تشيّدت الآن كنيسة السيدة للروم الاورثدكس. وفي سنة ١٨٥٧ اتى الدكتور ابراهيم بك النجّار بفسيلتين من القشطة من مصر فغرس احداها في جنينتهِ قرب كنيسة مار مارون واهدى الثانية جدّنا المرحوم بطرس اصفر فانتشرت من ثمّ حبوب الشجرة واغراسها حتى شاعت في سواحل الشام

لشجرة القشطة ثمرة مستديرة الشكل مخروطة الرأس كالصنوبر وحجمها في حجم الليمونة الكبرى يبلغ وزنها ٥٠٠ غرام وازيد وقشرتها خضراء ذات تقاطيع وفلوس

جميلة تحتها مادّة بيضاء قشطيّة ممسّكة طيّبة الذوق لذيذة الطعم. ضمنها غالباً بزرٌ كثير شديد السواد

وشجرة القشطة معتدلة الطول لها اغصان متدلّية وتزينها اوراق كبيرة تامّة بهيّة الخضرة تضرب الى البياض في اسفلها. امّا إنماء هذه الشجرة فبأن يُزرع بزرها في شباط من ١٥ منهُ الى آخر آذار فيذرّ في نيسان ويزكو. فان كانت الفسائل قليلة يمكن زرعها في التربة المعدّة لها او تجعل في قحوف خزفيّة. امّا اذا وضعتها في مغارس فلا بدّ ان تُبعد كلّ حبّة عن اختها نحو ٣٠ سنتيمترًا وفي الربيع تُنقل الفسائل الى اماكنها والأولى ان يكون نقلها الى مغارس فسيحة رحبة. امّا الاغراس التي مرّ على نباتها سنتان فتُنقل في الربيع الى اماكنها مع المدرة المحيطة بها

واعلم انّ الاغراس النابتة من الحبوب تأتي باثمار طيبة الّا ان جناها ألذّ ذوقاً اذا طُعّمت بطعم اشجار جيدة العنصر. ويحسن تطعيم الفسائل بعد سنتين بشقّها

وشجرة القشطة تأتي بثمرة او ثمرتين لثاني سنة غرسها في ترنُتها المخصوصة بها ولعلّها تبلغ احيانًا ثلاث ثمرات او اربعًا. وفي سنتها السادسة يكون جناها من ١٥ الى ٢٠ ثمرة. وترى اذ ذاك الشجرة تبسقُ فتبسط افنانها لاسيما اذا وقيتها من نفحات الريح الشماليّة وكانت تربتها غنيّة سهلة التشح وكثر سَقيُها في الصيف خصوصاً في اوان ازدهارها. فاذا بلغت السنة العاشرة من عمرها توفّر ثمرها الى الخمسين او الستين ثمرة

وفاكهة القشطة تُباع الآن في اسواق بيروت في شهري تشرين الثاني وكانون الاول يبلغ ثمن الواحدة منها ٢٠ بارة الى قرشين ونصف. وهي تُجنى في بعض حدائق البلدة من اشجار زاهية نامية. ومن استطعم هذه الثمرة لاول مرّة استطابها في الغالب ولا نشك في كثرة رواجها لو توفّر مبيعها بتموّ مغارسها وهوادة اسعارها

وعندنا انهُ يحسن بارباب الفلاحة ان يوسّعوا نطاق زراعة هذه الشجرة بعد ان تحقّقوا ما تأتيهم من الارباح وعرفوا تجمل احوالها وكيفيّة القيام بامرها. ولا يصعب نقل ثمرها من مدينة الى أخرى مع وفرة اسباب المعاملات. وانّما يتحتم وقتئذٍ قطف الثمر وهو اخضر جافٍ قبل ادراكهِ باسبوعٍ ونيّف فاذا بلغ المراد نضج وطاب وهو لا يصلح للاكل الّا عند تمام استوائهِ وذلك اذا فاح لهُ عرفٌ طيّب ولانت قشرتهُ

عند المس فتُفتح الثمرة وينزع عنها لبُّها الذي ينفصل بكل سهولة عن حبوبه العديدة الكبيرة

فمما سبق ترى انَّ القشطة من الأشجار التي يحقّ لاهل بلادنا ان يربّوها. ولكن هلمّ بنا نبحث عن الارباح التي يمكن البستاني ان يأملها من زرعها. فلنفترض انك تخصص هكتاراً من عقارك لزراعة شجرة القشطة وانك تغرس في هذه المساحة ٢٠٠٠ نصبة فقط وهو عدد قليل بالنسبة الى سعة المكان. فان كان معدّل الاثمار لكل شجرة ٣٠ ثمرة تبيع الواحدة عشر بارات كان ربحك ١٥٠٠٠ قرشاً

فان خصمتَ من هذا المبلغ:

	قروش
١ً تكاليف الحراثة. ست دفعات في السنة او اثنا عشر يوماً بثمن ٣٦ قرشاً في النهار	٤٣٢٠
٢ً تسميد التربة بان تضع عليها كل خمس سنوات ٥٠ غرارة من زبل الغنم او الماعز بثمن ٦٠ قرشاً لكلّ غرارة. اي في السنة	٦٠٠
٣ً سقي الارض بالناعورة نحو	١٤٠٠

واذا زدت على هذه النفقات:

٤ً فائض راس المال الذي دفعتهُ لابتياع الارض بثمن ١٠٠٠٠ قرش اعني قرشاً لكلّ متر مربّع. فان حُسب الفائض ٩٪ حصل	٩٠٠
٥ً فائض النفقات اللازمة لاقتناء اغراس الشجر مع ما يلحق من المصاريف من غرسها ونظارتها وكلفة الخراج الى زمن اثمار الشجرة	٨٠٠
	٦٤٣٠

فان طرحنا هذا الخارج من المحصول كان الربح ١٠٨٨٠ وهو كما ترى كسب طائل مع اننا في حسابنا السابق كثّرنا المصروف وقلّلنا الربح

واعلم انَّ لشجرة القشطة آفةً وهي الدودة البيضاء المدعوّة بلسان العلم (Dactylopius) تتسلط على كبار الشجر فتضربها العفونة وتذهب بمحاسن الثمرة. وهذه الدودة تختفي في فصل الشتاء في شقوق القشرة وفيها تبيض ثمّ تفي بيضها بمادّة غرويّة قطنيّة تفرزها من مؤخرها. فاذا فقس الصغار سَرَوْا الى اوراق الشجرة ثمّ اجتازوا الى اثمارها فأفسدوها بسيالهم الابيض وبرازهم ومنهما تتكوّن عفونة يدعونها فوماجين (fumagiene)

وهذه الدودة التي تصيب غير شجرة القشطة كالليمون والعنب يمكن اتلافها بان يُطلى الثمر بمزيج من عصير التبغ او البترول او كبريتات الحديد او كبريتات النحاس وكيفية طلائه ان تأخذ صمامةً من الخرق تبلها بالمزيج فتطلي بهـا الثمرة او تنضحها بمضخّة صغيرة. ومن الوصفات الحسنـة ان تمزج ٨ ليترات من البترول باربعة ليترات من الماء و١٧٥ غراماً من الصابون فتسخن اوّلاً الماء المزوج بالصابون حتى اذا غليا تصبُّهما في البترول وتمزجهما مزجًا حسنًا فترى على وجه المزيج دغوة كالزبد تتكاثف اذا بردت. فهذه الزبدة حسنة لقتل الدودة المذكورة. وان اردت استعمالهـا تصبّ عليها ماء باردًا فتنضحهُ على الشجرة

شجرة القشطة وثمرها

وفي الختام نوصي ارباب الزراعة بان يغرسوا في بساتينهم محـلًّا لشجرة القشطة ألم يغرسوا منها عددًا وافرًا فتأتيهم في اواخر الخريف بثمر طيب يأكلون منهُ وينتفعون بأرباحه

حبيس بحيرة قدس

للاب هنري لامنس اليسوعي

معربة بقلم المعلم رشيد الخوري الشرتوني (تابع لما سبق)

١٦

وكانت اجراس الكنائس في مدينـة جبيل تدقّ طول النهار والناس في الشوارع والأزقّة الضيقة بين ذهاب ومجيء متواصلين وكلهم بملابس العيـد وهم يزدحمون في ساحات البيع وأفنيتها

وكان ذاك النهار موافقًا لعيـد انتقال السيدة العذراء. وقد جرت في مساء اليوم الذي قبلهُ زينات وتنويرات بهيجة وخصوصاً في قمم الجبال القريبة وجميع اديار الرهبان وكل الكنائس الشيدة على اسم البتول

وهذا العيد كما لا يخفى هو مكرَّم ومعظَّم جداً عند اللبنانيين غير انهُ في تلك السنة اكتسى رونقاً خصوصياً لم يكن لهُ في ما مضى وكل ذلك بسبب وجود فرا غريفون في المدينة. فان نائب الكرسي الرسولي المشار اليهِ احبَّ قبل ان يركب البحر من بيروت قاصداً رومية ان يقف في جبيل مدة قصيرة ويعظ مساء عيد السيدة في الكنيسة الكبرى المشيَّدة على اسم القديس يوحنَّا

وهذه الكنيسة ترتقي الى عهد الصليبيين وكانت في القرن الخامس عشر باقية على طولها وهندستها الاصليين غير ان الذين تولوا ترميمها بعد ذاك قد احدثوا فيها بعض التغيير (١ وكانت مقسومة الى ثلاثة اسواق واسعة ذات دعائم كبيرة وعند الباب الشرقي قبَّة للعمودية انيقة فكانت في ذاك الزمان اعظم بل اجمل هيكل في جبل لبنان الذي لم يكن فيهِ شبيه لهذه الكنيسة سوى كنيسة قرية معاد (٢ على ان هذه اذا كانت تشبهها من حيث الاناقة فقد كانت تقلّ عنها اتساعاً وبهاءً

وقبل ان يحلّ زمان الوعظ كانت قد غصَّت تلك الاسواق الثلاثة بالناس المتوافدين من عشيت وادّه وبحديدات وبلاط والبوار وبرجا وسائر القرى القريبة لاجل استماع كلمات فرا غريفون الذي كان الجميع في جبل لبنان يعرفونهُ ويجلونهُ. حتى ان اسمهُ كان أشيع بينهم من اسم الاب يوحنا رئيس دير القديسة تقلا لان هذا الاخير لم يكن يتذكرهُ سوى المتقدمين في السن بخلاف الراهب الفرنسيسي الموما اليهِ فانهُ قد اتى اعمالاً عظيمة في لبنان واحبَّ سكانهُ حباً فائقاً وقد طالما دافع وحاجَّ عنهم في اوربة وعلى الخصوص في رومية (٣ وكان الكل يعرفون ذلك ويتعجبون من فضيلتهِ واستقامة طباعهِ وسعة علمهِ. وكان يعرف اكثر لغات الشرق مثل اليونانيَّة والسريانيَّة والعربيَّة اما العربيَّة فكان يعبّر فيها بسهولة عظيمة عن افكارهِ ومقاصده الا انهُ كان في لهجتهِ شيء ينبئ بكونهِ غريباً عنها

ولما اجتمع الشعب في الكنيسة اخذوا ينتظرون بذاهب الصبر وفود واعظهم المحبوب ليسمعوا كلامهُ. اما الشاب عبد المنعم مقدَّم جبيل وابن اخي الامير رزق الله (٤

١) المشرق ٣: ٢٥١ و ١٠٢١ ٢) المشرق ٣: ١٠٢٢

٣) فرا غريفون ولبنان (المشرق ١: ١٢٤)

٤) تاريخ الدوجي ص ١٦٠

فابى ان يشارك الشعب في تقواه وبقي في قصره متشاغلاً بالشراب مع بعض رفقائه في لهوه. وكان المذكور واجداً على فرا غريغون لسببين الاول كونهُ صديقاً لعمه الامير رزق الله والثاني ترهمهُ فيه انهُ هو الذي اعلم الامير باتخاذه اليعاقبة تحت كنفه وحمايته. وكان وقتئذٍ يراسل جوسلين ويخشى من فرا غريغون ان يطلع على اسرار مراسلته ويعلن خيانتهُ

غير انهُ في يوم ذاك العيد العظيم ابى الّا ان يبرح بيتاً كنَّ صدرهُ من التفاق وقلّة الاحترام للدين فاجاب الذين كانوا يدعونهُ الى الكنيسة لسماع خطبة فرا غريغون بقولهِ: ان الكلام لا يجدي ولا يفيد شيئاً وان كان واعظكم رجل تقوى فقولوا لهُ ان يصنع المعجزات

وكان يظن انهُ نطق بعبارة تدلّ على ذكاء وتوقد ذهن. وما كان كلامهُ في الحقيقة غير شاهد على وقاحتهِ وسلاطة لسانهِ. وعلى إثرها جلس للشراب مع رفقائهِ وندمائهِ

وفي تلك الاثناء كان فرا غريغون قد شرع في الكرازة بكنيسة القديس يوحنا وجعل موضوع كلامهِ شرف العذراء القديسة وما اختصَّها بهِ الله من النعم والمواهب واطنب في ذلك طويلاً لانهُ كان يلتذّ بهذا الموضوع الذي كتب فيهِ مجلّداً برمَّتهِ (١. اما الشعب فكان يسمع الوعظ بشوق وسرور ومع ما كان وقتئذٍ من شدة الحرّ لم يتحلحل احد من مكانهِ بل كان الجميع راغبين في الاستزادة من ذاك الكلام الشهي. وبعد ساعة من الزمان كانت الشمس قد مالت الى المغرب مرسلةً اشعتها الى داخل الكنيسة من باب السوق الكبير الذي تُرك مفتوحاً

اما عبد المنعم الذي كان حتى الوقت المذكور مستمرًّا على الشراب واللهو مع رفقائهِ فنهض فجاءةً وقال:

— هلمَّ بنا ايها الاصحاب نذهب الى الكنيسة تفنُّناً في أنواع المسرّة. وليس كل يوم عيد السيدة وفوق ذلك لا يجمل ان يتوهَّم بنا الناس اننا نتهيَّب فصاحة فرا غريغون

فعندما ضحك الكل مقهقهين وصوَّبوا رأيهُ ومضوا وما كان غير قليل حتى وصل عبد المنعم الى باب الكنيسة مع ثلاثة من رفقائهِ فشقّ غابة الجمع المزدحم وتوجَّه نحو

(١ راجع مكتبة المؤلفين من رهبانية القديس فرنسيس

الدرابزين ووقف ثمت تجاه الواعظ شامخ الانف يُرسل اليه نظرًا وقحًا. امّا الواعظ فاتمّ سياق الكلام كأنّهُ لم يرَ للمذكور وجهًا غير ان تلك اللهجة الابويّة الخرّاقة التي كانت تُشيد بمدائح مريم ما لبثت ان انقلبت الى ضدها لان غريغون اخذ يتكلم على عدل الله تعالى والقصاص الذي اعدّهُ لمرتكبي الشكوك واشياع الهراطقة. ثمّ رفّق صوتهُ بغتةً فقال:

« ان من كان في سنّي لا تجوز عليهِ الخديعة ولا يستطيع ان يأمل طول الأيام. وها انا الآن على وشك سفرة جديدة عظيمة الاخطار رغبةً في منفعة طائفتكم واتمامًا لطلب غبطة بطريركم مار بطرس (١. ولا اعرف ايها الابناء الاحبّاء. هل يقسم لي الله ان اعود فاشاهدكم فيناء عليهِ اسألكم ان تسمعوا بانتباه صوت ابيكم الشفيق الذي يخاطبكم لآخر مرّة. حافظوا على وديعة الايمان التي سلّمها اليكم اجدادكم الأمجاد. واياكم ان تتزعزعوا في نهجكم القويم بمسالك بعض الذين انقادوا لصوت الضلال... فان الناس يمضون ويموتون والحقيقة تبقى ولا تموت. كلاّ انّ ذراع الله لم تقصر وهو يعلم متى شاء كيف يعلن مقدرتهُ وقوّتهُ للناس...»

وكان الشعب يسمع باصغاء عظيم هذه الكلمات المؤثرة. وكان غريغون يريد متابعة الوعظ غير انهُ سمع من اقصى الكنيسة بعض دمدمة ثم انقلبت الدمدمة الى صوت جهوري صدر من كل الافواه في وقت واحد وكان الكل يقولون: « معجزة. معجزة. صدق فرا غريغون. السماء تؤيد اقوالهُ. لعنة الله على الهراطقة »

واي شيء حصل يا ترى؟

كانت الشمس كما سبق القول على وشك الغياب ترسل اشعّتها المائلة من الباب الكبير. غير ان نورها ظهر بغتةً في كوة الحنية فائضًا على قدس الاقداس والخورس اللذين كانت الظلمة قبل دقيقة خيّمت عليهما (٢ وهكذا بانت من وراء الخطيب عاقدةً على رأسهِ اكليلًا من نور. فلمّا شاهد الشعب هذا المنظر العجيب تضاعفت هتافاتهم « معجزة. معجزة. غريغون هو يشوع ثانٍ »

وما استطاع غريغون ان يُسكت الشعب المتحمّس الّا بعد الجهد البالغ فلمّا عاد اليهم الهدوء خاطبهم قائلًا:

---

١) تاريخ الدويهي والمشرق ١ : ١٢٦ ٢) راجع واديخ وتواريخ رهبانية مار فرنسيس والمشرق ١ : ٦٠

« يا اخوة ان الله قد شاء دون ريب ان يكافئ ايمانكم فاليه ينبغي ان نرفع جزيل الشكر والحمد. وايأكم ان تنسبوا للمخلوقات ما لا تجب نسبتهُ الا للخالق جلَّ وعلا. هلمَّ الآن نسجد جميعاً مبتهلين الى الهنا الشفيق بان لا يحرم وطننا هذا حمايتهُ الفريدة التي لم يضنَّ بها عليهِ من قبل »

فما قال هذه الكلمات حتى خرَّ جميع الحاضرين جُثيًّا على الركب وجثا ايضاً عبد المنعم محمولاً من مثل الحاضرين بل مدفوعاً الى ذلك بقوة داخليَّة واخذ فرا غريغون صورة العذراء القديمة فبارك بها جمهور السامعين بينما كانوا يترنمون بنشيد الشكر

وبعد ذلك تفرَّق الجميع وفي كل قلب ما لا يوصف من التأثير. وما طال الوقت حتى انتشر خبر هذا الحادث العجيب في كل انحاء لبنان حيث بقي الاهالي يتذكرونهُ لمدة طويلة. امَّا فرا غريغون فاحبَّ لتواضعهِ ان يتخلَّص من تزاحم الشعب عليهِ فترك جبيل خفية في مساء اليوم المذكور ذاهباً الى بيروت حيث اقام ما بين اخوتهِ الرهبان الصغار في ديرهم المعروف بدير المخلص (١

وكان عبد المنعم قد تأثر مما رأى وسمع لكنهُ لعناده وإصراره عاد الى منزلهِ محاولاً ان يُفسِّر ذاك المظهر الخارق لعادة الطبيعة الذي شاهدهُ بعينهِ تفسيراً ملتوياً وينسبه الى انخداع البصر. وقد ذهب ان مخيلة السامعين تهيَّجت بشدَّة حرارة الجوّ فصوَّرت لهم كحقيقة ما كان ناتجاً عن غلط الحواس وخطائها لان كلمات الواعظ الفرنسيسي اختطفت عقولهم فظنوا انهم يشاهدون معجزةً

هكذا كان عبد المنعم يعلِّل هذه الحادثة لرغبتهِ في عدم تصديقها او بالحري لاظهار الجلد والثبات على سوء اعتقاده تجاه وقاء مسرَّاتهِ الذين شاهدوا كلهم كما شاهد هو وكما شاهد سائر اهالي جبيل ومن انضمَّ اليهم من القرى المجاورة ان الشمس بعد ان كانت على وشك الغروب عادت الى الشرق ودخلت من حنيَّة الكنيسة. ولا ريب ان الاصرار هو اثمٌ قبيح ولكنهُ يكون اقبح متى كان صاحبهُ يُغمض عينيهِ عن مشاهدة النور كما فعل عبد المنعم الذي كان من جنس اولئك الناس الذين قال عنهم سيدنا يسوع المسيح في انجيلهِ: « لا يؤمنون لا بموسى ولا بالانبياء حتى لو قام احد الاموات ايضاً فانهم لا يؤمنون » (ستأتي البقيَّة)

١) المشرق ١ فرا غريغون .

توحيد الحسابين

في بدء القرن العشرين

نبذةٌ بقلم للاب لويس شيخو اليسوعي

لم يَفُتْ قرّاءنا ما كتبهُ في العام الماضي حضرة الاب كولنجت عن اصول الحساب السنوي (راجع المشرق ٣: ٢٢٥) وما طرأ عليهِ من الخلل في القرون الخالية مما دعا مرارًا اصحاب الامر الى تلافيهِ وكان آخر اصلاح جرى على هـذا الحساب في اواخر القرن السادس عشر بهمّة ذلك الحبر الهمام والبـابا الجليل غريغوريوس الثالث عشر فدُعي باسمهِ الحساب الغريغوري فلم يلبث هـذا الاصلاح ان انتشر في انحاء اوربة حتى في الممالك البروتستانيَّة ولم يتأخر عن المصادقة عليهِ غير الدولة المسكوبيَّة وبعض الدول الصغيرة الاورثدكسيَّة

وكانت الطوائف الشرقيَّة غير المتحـدة مع الكرسي الرومانيّ قبل نصف قرن تأبى كل الاباء ان تنحاز الى الحساب الغريغوري كأنَّ اصحابها لو فعلوا انبأوا بذلك عن بعض الخضوع لامام الاحبار فقضّلوا معارضة الشمس بالعصيان من مسايرتها بالوفاق لئلا يُنسَب فعلُهم الى مجاراة نائب المسيح وأتباعهِ. وكانوا مع ذلك يحتجّون ببعض الحجج التي من شأنها ان تحسن عرضهم في هذا الخلاف العلمي. واقوى هـذه الحجج انَّهم يطيعون قانون المجمع النيقويّ حيث قال: « اننا نحكم حكمًا فصلًا يجب على الكل ان يمتثلوا لهُ وهو ان يقام عيد الفصح في الاحد الاقرب للبدر الاول الواقع بعد الاعتدال الربيعي »

على انَّ الذين يستندون الى هذه الحجّة لا يعتبرون الظروف والاحوال التي اوجبت اذ ذاك الكنيسة جمعاء ان تفرض هـذا الامر على ابنائها وهو استدراك ما وقع من الخلاف بين بعض الكنائس في آسيا الصغرى وبلاد الجزيرة التي كان المؤمنون فيهـا يعيّدون الفصح مع اليهود في ١٤ نيسان قبل الاعتدال الربيعي فمنعتهم الكنيسة عن ذلك وحرمت من اصر منهم على عنادهِ

لكنَّ المجمع النيقوي بتحديدهِ المذكور لم يتعرَّض للفحص عن صحّة الحساب اليولي الشائع في تلك الأيام او غلطهِ وانَّمـا جرى عليهِ الآباء على علّاتهِ وتركوا امر اصلاحهِ

لزمن اوفق واحوال انسب لاسيما انَّ الغلط بين دوران الشمس والحساب اليولي لم يتجاوز في عهد المجمع النيقوي ثلاثة ايام

الَّا انَّ كرور الاعصار وتوالي القرون لم يزل يزيد في هذا التباين حتى بلغ في بدء القرن العشرين ١٣ يومًا وصار الاعتدال الربيعي لا يقع الَّا في ٢٢ اذار الشرقيّ بموجب الحساب اليوليّ مع اننا نرى جميعًا رأيَ العين انَّ هذا الاعتدال اي تساوي الليل مع النهار قد سبق هذا العهد وانهُ يقع في ٩ آذار

ولعلَّ قائلًا يقول او ليست طاعة المجمع المسكوني أولى من متابعة الحساب الفلكي ؟ اجبنا على ذلك انهُ لو كان لا بدَّ من اختيار احد الامرَين لتحتَّم تفضيل أوامر الدين على سواها . ولكن هيهات ان يكون المجمع النيقويّ حكم بما يضادّ الحساب الفلكيّ وانَّما حتم فقط كما سبق القول بامرَين : اولهما ألَّا يقام عيد الفصح مع اليهود . والثاني ان يُعيَّد الفصح في اوَّل احد يقع بعد البدر الاول من الاعتدال الربيعي

وهذان الامران ينفذهما تابعو الحساب الغريغوري فانهم لا يعيّدون الفصح مع اليهود لانَّ فصح اليهود يقع يوم بدر القمر نفسهِ اي يوم كان . امَّا تبعة الحساب الغرغوري فلا يعيدون الفصح الَّا الاحد واذا وقع عيدهم يوم البدر وتوافق عيدهم وعيد اليهود معًا نقلوا العيد الى الاحد الذي بعدهُ . وبعكس ذلك نرى الفصحَيْن المسيحي واليهودي توافقا مرارًا بعد المجمع النيقوي قبل الاصلاح الغريغوري في السنين الآتية ٣٦٧, ٣٧٠, ٣٧٤, ٣٩٤, ٤٠١, ٤١٤, ٤١٨, ٤٢١, ٤٤١, ٤٤٥, ٤٦٥, ٤٩٩ كما بيَّن ذلك الكاهن العلامة نيقولا تلستوي مؤخرًا في جريدة روسيَّة

امَّا الامر الثاني فانَّ اصحاب الحساب الغريغوري وحدهم الآن يقومون بهِ بخلاف متَّبعي الحساب اليولي . لانَّ منطوق كلام المجمع ان يُقام عيد الفصح بعد « البدر الاول » من الاعتدال الربيعيّ والحال انك ترى الجارين على الحساب اليوليّ يعيدون مرارًا عيدهم بعد « البدر الثاني » من الاعتدال الربيعي وذلك لانَّ الاعتدال الربيعيّ يتأخَّر في الحساب اليولي الى ٢٢ اذار الشرقي وكثيرًا ما يقع البدر الاول من الاعتدال الربيعي الصحيح قبل هذا التاريخ اعني في الثلاثة عشر يومًا السابقة لهُ فيعيد الشرقيُّون وقتئذٍ « بعد البدر الثاني » لا « بعد البدر الاوَّل » خلافًا لما سنَّ المجمع النيقويّ . فينتج من ذلك انَّ تبعة الحساب الغريغوري أمثل لاوامر هذا المجمع من تبعة الحساب اليولي

ونضرب صفحاً عن حجج اخرى لا طائل تحتها يحتج بها اصحاب الحساب الشرقي فانّ السكوت عنها أسلم لشرف المتشبثين بها . وانما نقول اجمالاً انّ الكنيسة الكاثوليكيّة اصابت كل الصواب اذ ابدلت الحساب القديم وذلك امرٌ يقرّ به كلُّ من يرى رأي الصواب وينقاد الى الحقّ من الشرقيين ولذلك ترى العلماء منهم في العصر المتصرم لم يزالوا يسعون في إبطال الحساب الشرقي ومجاراة العالم المتمدّن باتباع الإصلاح الغريغوري . فقبل السنة ١٨٥٠ قدّم علماء المكتب العلمي في بطرسبورغ عريضة للقيصر بيّنوا فيها وجوب اصلاح الحساب . الّا انّ مساعي العلماء زادت تواتراً واحتجاجاً منذ ٢٠ سنة فترى الفلكيين من الروس والبلغار والصرب والرومان واليونان يكرّرون المقالات في المجلات العلميّة ليقنعوا دولهم بمباشرة هذا المشروع قلّما يكون للسنة الدينيّة والمعاملات السياسيّة . وفي الخمسة الاعوام الماضية تأثر اصحاب الامر من هذه الكتابات واعاروا لاقوال اصحابها اذناً صاغية وكان الصرب والبلغار والرومان على وشك إبدال حسابهم اذ اشار اليهم القيصر محامي الاورثدكسيّة أنْ : « اربعوا على ظلعكم ولا تتجاوزوا طوركم الى ان يحكم الديوان الملكي في هذا الامر » . ثمّ تقدّم الى المكتب الفلكيّ الروسي بان يبتكر طريقةً لحلّ المشكل . فما لبث اصحابهُ ان عرضوا على العالم الاورثدكسي مشروعاً صوّب اليه اكثر العلماء الفلكيين سهام التنديد حتى في روسيا فدعت حينئذٍ الدولة المسكوبية كل دول الصقالبة الى البحث عن الطريقة المثلى لوضع حساب يقوم مقام الحساب اليولي

فكان اوّل من لبّى هذه الدعوة المجلة العلميّة الاورثدكسيّة في بلغراد عاصمة الصرب (Glasnik pravoslavne Tsrkve) فكتب فيها الاستاذ الفلكي مكسيم تريكوفيتش (M. Trpkovitch) مقالة في الحساب جديرة بان تُعدّ كطرفة من طُرَف الدهر وغرة في مفرق العصر . فانّهُ بعد أن لخّص اصول الحساب السنوي وبيّن ما في البقاء على الحساب القديم من الشوائب العديدة استطرد الى الثناء على الإصلاح الغريغوري وخواصّه الفريدة وسهولة طريقته . ثم اخذ يرتاد للدول الاورثدكسيّة قاعدة جديدة يجري عليها الاورثدكس توافق بين الحسابين وتكون اكمل من الحساب الغريغوري بحيث تُصلح الغلط الطفيف الموجود في هذا الحساب (١ فوجد هذه القاعدة التي هي أفضل من

١) راجع ما قال عن هذا الغلط حضرة الاب كوتاجيت (المشرق ٣ : ٢٣٠)

القاعدة الغريغوريّة لأنّها تُصلح غلطها فلا يكون الفرق بين حركة الشمس والحساب الّا يوماً واحداً في كل ١٥٠٠٠٠ سنة بدلاً من ٤٠٠٠ سنة. والمعلم المذكور استند في ذلك على معدّل دوران الارض السنوي وفقاً للمكتب الفلكي في باريس الذي قرّر بأرصاد متوالية تعديل هذا الدوران وهو ٣٦٥ يوماً و ٥ ساعات و ٤٨ دقيقة و ٤٨ ثانية فحسبها بالكسور العشريّة ٣٦٥,٢٤٢٢ وبنى على هذا الحساب قاعدتهُ العجيبة الآتي ذكرها

ولبيان فضل هذا الاختراع نعرض جدولاً يبيّن القاعدتين ليرى القرّاء كمال القاعدة الجديدة على القاعدة الغريغوريّة (١

القاعدة الغريغورية	قاعدة الاستاذ تريكوتيتش
١ طول معدّل الحساب السنوي على موجب رأي العلماء ٣٦٥ يوماً و ٥ س و ٤٩ د و ١٢ ث (بموجب أرصاد ذلك العصر)	١ طول معدّل الحساب السنويّ على رأي مكتب باريس الفلكي ٣٦٥ يوماً و ٥ س و ٤٨ د و ٤٨ ث
٢ فيكون الزائد من السنة اليولية ١٠ د و ٤٨ ث	٢ فيكون الزائد من السنة اليوليّة ١١ د و ١٢ ث
٣ عدد القرون اللازم ليصير هذا الكسر الزائد عدداً تاماً هو « اربعة ». فيبلغ ٣ أيام كاملة كلّ ٤٠٠ سنة. اعني انهُ لا بُدَّ من حذف ٣ أيام كلّ اربعة قرون	٣ عدد القرون اللازمة ليصير هذا الكسر الزائد عدداً تاماً هو « تسعة » فيبلغ ٧ أيام كاملة كل ١٠٠ سنة. اعني انهُ لا بُدَّ من حذف ٧ أيام كلّ تسعة قرون
٤ واحسن ما يكون حذف هذه الأيام في بدء القرون. فلا تُكبس الّا « سنة واحدة » في بدء « اربعة » قرون متوالية	٤ واحسن ما يكون حذف هذه الأيام في بدء القرون. فلا تُكبس الّا « سنتان » في بدء « سبعة » قرون متوالية
٥ امّا السنة المئوية التي يحسن كبسها فهي التي يُقسم مجموع اعدادها على ٤ دون باقٍ	٥ امّا السنتان المئويتان اللتان يحسن كبسهما فهما اللتان يُقسم مجموع اعدادهما على ٦ او ٤ دون باقٍ
مثال ذلك السنين ٢٠٠٠ , ٤٠٠٠, ٢٨٠٠ فانها تكون كبسة لانَّ مجموع اعدادها يقسم يُقسم على ٤ دون باقٍ. وبكس ذلك السنين ١٩٠٠ , ٢١٠٠ , ٢٢٠٠ فانها لا تكبس لانَّ لمجموع اعدادها باقياً بعد قسمتها على ٤	مثال ذلك السنين ٢٢٠٠ , ٢٧٠٠ , ٢٨٠٠ , ٤٥٠٠ فانها تكون كبسة لانَّ مجموع اعدادها يُقسم على ٤ (٢٢٠٠, ٢٨٠٠) او على ٦ (٢٧٠٠, ٤٥٠٠) دون باقٍ. وبكس ذلك السنين ١٩٠٠ , ٢١٠٠ , ٢٢٠٠ فانها لا تُكبس لانَّ لمجموع اعدادها باقياً بعد قسمتها على ٤ او ٦.

(١ اخذنا هذا الجدول عن مقالة للاب تندين الراهب البرنبي الشهير كتبها في مجلة العلوم السوميّة العدد (٤ من السنة ١٢ ص ١٧٦)

فترى من هـذا الجدول ما بين القاعدتين من الوفاق وما للمعلم تريكوفيتش من الذكاء في وضع هذه القاعدة الجديدة التي مع بساطتها تزيل الخطأ من الحساب بحيث لا تبقي له اثرًا يُذكر الّا بعد ١٥٠٠٠٠ سنة. فعسى ان تحظى هذه القاعدة قبولًا لدى العالم الاورثدكسي ويزول بذلك الخلاف بين نصارى جميع الامم في امر الحساب

وعلى كلّ حال اننا نؤكد لاخوتنا المنفصلين انّ الخير الاعظم مستعدّ لكل ما من شأنه ان يسهّل توحيد الحسابين ولنا في سعة افكاره مثال جميل في ما كتبهُ الكردينال رمبولا وزير قداسة البابا لاون الثالث عشر باسم سيّده منذ ثلاث سنوات لمدير المرصد الفلكيّ في برلين. وكان الاستاذ المذكور وهو المعلم فرستر (Forster) الفلكي الشهير طلب نيابةً عن المراكز الفلكيّة الدوليّة هل الكرسي الرسولي يقبل ان يجعل حبًّا بالّلغة القلوب عيد الفصح في يوم معلوم مثلًا الاحد الاول من شهر نيسان وذلك في كلّ السنين. فاجاب الكردينال رمبولا باسم الاب الاقدس في ٦ أيار سنة ١٨٩٧: انّ الكنيسة الكاثوليكيّة لا تأبى ان تتلقّى هذا المشروع بعين الاعتبار اذا نتجت عنهُ منافع للّالفة الاجتماعيّة ولم يحصل من جرّائه مضارّ لعالم الدين وتكون الدول صادقت عليهِ دون خوفٍ ان ينجم عنهُ شقاق او نفور » فاعرب الكرسي الرسولي بجوابهِ هذا عن ارتياحهِ لخير الجمهور والكنيسة معًا. جبر الله القلوب بالحبّ والإخاء. امين اللهمّ امين

مطبوعات شرقية جديدة

كتاب تاريخ سورية

المجلّد الخامس يتضمّن تاريخ سوريّة في أيام الخلفاء الى نهاية القرن الحادي عشر

بقلم الحبر الجليل والمؤرخ الفاضل السيد يوسف الياس الدبس مطران بيروت المارونية

طُبع في بيروت في المطبعة العمومية سنة ١٩٠٠ ص ٥٨١

هذه مرّة خامسة وفّقنا الله بان نثني على تأليف تزدان بهِ مكاتبنا وتفتخر لهُ بلادنا وضعهُ حبرٌ مفضال لم تضعف عزيمتهُ اعباء الرئاسة ورعاية الحراف الناطقة فاكتسب بتأليفهِ شكر جميع السوريين فضلًا عن ابناء ملّتهِ. ولا يخفى ما يستدعيهِ كتابٌ طويل

مثل هذا من دقّة النظر والابحاث المتعدّدة والمطالعات المملّة. فلم يستكف سيادتهُ عن كل ذلك وتجرّد لهذا العمل الجليل منذ نحو عشر سنوات بغيرة لا تعرف السأم. وقد جاء الجزء الجديد شاملًا للتاريخين الديني والمدنيّ من القرن السابع للمسيح الى ختام القرن الثاني عشر مع ذكر مشاهير العلماء والكتبة من نصارى ومسلمين في سوريّة. وقد استطرد المؤلف الفاضل الى امور كثيرة لها بعض العلاقة مع التاريخ السوري. ومن الابحاث المهمة التي دُوّنت في هذا الجزء اخبار اصول الطائفة المارونيّة والمدافعة عن ارثذكسيّتها المتواصلة فلخّص سيادتهُ في تاريخهِ ما ألّفهُ سابقًا في هذا الصدد. ونحن نوافقهُ تمامًا في ما كتبهُ عن براءة القديس مارون الناسك من بدعة المشيئة الواحدة (ص ٢٧١ — ٢٨٥) اذ لم تنشأ في عهدهِ هذه البدعة ويشهد على سموّ قداتهِ تراودريطس المؤرخ معاصرهُ. ولا نظنّ ان البطريرك كيرلّس تاناس ذكر ذلك (ص ١٧٨) فانّ في مكتبتنا الشرقيّة نسخةً من عريضة رفعها الى البابا بناديكتس الرابع عشر يصرّح فيها جهارًا عن اعتبارهِ لهذا القديس واكرامهِ لصدورهِ وذكر اسمهِ في المنارون الكبير

THE GEOGRAPHY OF SYRIA
followed by the history of the original Maronite Church
compiled by Joseph Dahdah, Sydney, 1899, pp. 72

جغرافية سوريّة وملخّص تاريخ الطائفة المارونيّة لحضرة الخوري يوسف الدحداح

احبّ مؤلف هذا الكتاب ان يعرّف سوريّة واخبار الطائفة المارونيّة لاهل استرالية حيث توفّر عدد المهاجرين فضمّنهُ بالانكليزيّة نظرًا عن احوال سوريّة وحدودها ومدنها وجبالها وانهارها ثمّ ألحق بهِ تاريخ الكرسي الانطاكيّ مع سلسلة البطاركة المارونيين كما نشرها حضرة الاستاذ العلامة رشيد افندي الشرتوني. وقد اتسع المؤلف في ترجمة البطريرك السابق المثلّث الرحمة السيد يوحنّا الحاج مع الاشارة الى انتخاب خلفهِ غبطة السيد الجليل مار الياس بطرس الحويّك متّع الله برعايتهِ الطائفة المارونيّة دهرًا مديدًا. وفي الكتاب عدّة تصاوير حسنة

ՊԱՏՄՈՒԹԻՒՆ ՀԻՆԳԱՄԵԱՅ
ՏԻԲՔ ՄԵՆՈՒՈՐԵԱՑ ԸՍՏ ՀԱՅԿԱԿԱՆ ՀԱՑ ԲԱՐԵԿԱՐԱՆՈՒԹԵՐՆ
نسخة قديمة ارمنيّة من سفر اخبار الايام: طُبعت في موسكو سنة ١٩٠٠

لا يخفى انّ النسخة الشائعة بين الارمن من الاسفار المقدّسة قد نُقلت من الترجمة السبعينيّة في ايام القديس مسروب واضع حروف الهجاء في هذه اللغة. بيد انّ المؤرخين

الارمن اثبتوا في تآليفهم انهُ سبقت هذه الترجمة ترجمة أخرى نُقلت عن الاصل السرياني أُهملت لما وقع فيها من الخلل حتى لم يكد يبقى لها أثر. الّا انَّ المعلم كريكور خلطيان وجد في دير مار يعقوب للارمن الاورشليمي في القدس ثم في دار الكرسي البطريركي في اشميازين نسختين ترتقي الاولى الى سنة ١٢٦٩ وفيها بعض الخلل والنقص والثانية الى سنة ١٦٣٥ وهي اكمل واضبط وكلتاهما منقولة عن الترجمة السريانية فقابل بينهما ونشرهما وعلّق عليهما التعاليق المفيدة وألحقهما بتصاوير شمسيَّة تمثل بعض صفحات النسختين فجاء كتابهُ مفيدًا لتاريخ الاسفار المقدسة في الشرق ل. ش

شذرات

تاريخ خطي ارفقنا جناب الاديب القانوني سليم افندي باز على نسخة من تاريخ القس حنانيا منيّر الراهب الشويري نفيد القرّاء عنهُ اذا اطلعنا على اخبار مؤلفه. واليوم رأينا ان نقتطف منهُ نبذة عن مباني بيروت القديمة قال (ص٣٧):

لمّا عاد اهل بيروت اليها بعد الحروب الطويلة اخذوا يصلحون شيئًا من ابنيتها المتهدّمة. وما زالت كذلك الى ولاية الامراء الشوخيين فاقاموا بعضًا من ابنيتها وبنى الامير منذر الجامع المعروف باسمهِ حتّى الآن بعد النوفرة وأضافت التوبة الى الامراء بني من فبنوا البرج الكشّاف وخان الوحوش ودار الولاية والجامع المنسوب اليها. ثم الى الامراء بني الشهاب فاقام الامير ملحم خان الملاحة والامير يوسف قيسارية الارواح والامير منصور القيسارية المعروفة باسمهِ والامير علي قيسارية الصاغة والامير سليمان ابو اللمع قيسارية البارود والامير يونس القيسارية المعروفة باسمهِ والشيخ عبد السلام السماد القيسارية التي في رأس سوق العطارين والشيخ شاهين تلحوق القيسارية التي بالقرب من القيسارية العتيقة حيث قُتل ابن ملك البدقية (راجع المشرق ١: ٢٢٢). وكانت القيسارية العتيقة لزوجة الامير أحمد الشهابي وكان يقال لها ام دبوس ولها البرج المستدير بجانب السور والبرج الذي يقال لهُ طاقة القصر كان للامير منصور وكان البرج الجديد الذي فوق طاقة القصر للامير مراد ابن الامير منصور وبالقرب منهُ دار للامير علي وتحتهُ دار للامير حسين وتحتها دار للامير بشير السبعين متصلة بالمدينة بالقرب من باب البلد الذي يقال لهُ باب يعقوب الكرواني وكان يعقوب ماردًا يقطع الطرق فقتل في ضر الكلب ودُفن في ساحة ذلك الباب ولهُ حكاية طويلة وكانت دار الولاية في الجبل ايّام بني تنوخ

تعريب الفاظ تجاريَّة امّا بعدُ ففي العدد الرابع من مَشرقكم المُشرق قد جاد علينا احد افاضل اللغويين تحت عنوان «حلّ معقدات» بتعريب بعض

الفاظ تجاريّة افرنجيّة . فدرءاً للالتباس وحبًّا باماطة لثام الشبهات عن محيّا الحقيقة اتيت بهذه العجالة لابين الفروق التي قرّرها الاصطلاح والاستعمال اليومي في تعريب بعض من تلك الألفاظ :

إن remise, traite, lettre de change, effet تُطلق على مدلول واحد . غير ان lettre de change يُراد بها البوليصة بتجريد النظر عن كلّ ما يطرأ عليها وتعريبها سفتجة او كمبيو (١ — و traite (من فعل tirer) هي السفتجة بالنظر الى تحرّرها وسُحبها او بعبارة افصح بالنسبة الى ساحبها (tireur) وتُسمّى سحبًا او مسحوبًا (٢ — و remise هي السفتجة التي يقدّمها تاجرٌ الى تاجر في بلد آخر ويرافقها بالعربيّة حوالة . وقد يستعملون لفظة acceptation ويريدون بها السفتجة التي قبلها المسحوب عليه (tiré) ولا بأس بتعريبها سفتجة مقبولة . امّا effet فمدلولها اوسع اذ انها تُطلق على كلّ ما سرّ بك وساء صكوك الديون المتبادلة بين التجار . فتعريبها بحسب مدلولها المُطلق ورقة تجاريّة (كما يقال ايضًا بالفرنسيّة effet de commerce) وحصرًا بالمعنى الاول سفتجة وبالمعنى الثاني سند او كمبالة (٣ (ويرادفها بالفرنسيّة بالمعنى الاخير billet à ordre) . هذا وفي بعض الاحيان تستعمل الالفاظ المذكورة مجازًا

امّا ترجمة réserver bon accueil à effet بهذه الصورة : « استعدّ لقبول حوالة » فلا اراها تفي بالمعنى المقصود والاصحّ ان يُقال « كرّم او شرّف الحوالة بالقبول » او حازت الحوالة القبول حسب الحال . لانهُ على علمي ليس المراد بذلك الاستعداد للقبول بل انما مجرّد القبول . . . هذا ما تيسّر اثباتهُ مع اقراري بعجزي (جان بهلوان)

---

١) من الايطالية cambio أي مبادلة . على أن هذه اللفظة يراد بها خصوصاً المعنى المقصود من change فيقال أسعار الكمبيو les prix du change أعني اسعار السفاتج

٢) من اصطلاحات أهل زماننا

٣) كذلك من اصلها الايطالي cambio . وقد استعملوا كمبالة للدلالة على السند المحرّر لامر (مثلاً اني فلان ملزوم ان أدفع لامر فلان) تمييزًا لهُ عن السند العادي المحرّر من دون أمر (اني فلان ملزوم أن ادفع لفلان) وغنيّ عن البيان ان الكمبالة هي معاملة تجاريّة بل هي سلاح التجر تقع تحت سيطرة القانون التجاري أمّا السند العادي فليس بشيء من ذلك ويخضع للاحكام المدنيّة

حلّ اللغز السابق بعد طبع العدد الاخير من المجلة ارسل الينا حضرة الخوري الفضال يوسف العلم والخوري حنّا شلهوب من الكرك والمعلّمان الاديبان يوسف ابو سليمان ونجيب افندي ملحم مشعلاني من زحلة حلّ اللغز الوارد في العدد ٨ غير انّ ضيق المكان يضطرّنا الى ان نكتفي بذكر ابيات الخوري يي - العلم وهي:

اعجب بلغز كم اغار لحلّهِ ... من جيش ارباب الدواة والقلمْ
ما همّ ناظمهُ غموضهُ لنظمهِ ... لكن بمنزاهُ سمى اهل الحكمْ
بثلاثة من احرف تركيبهُ ... وكم معانٍ تحت مبناهُ تُرُمْ
فاذا حذفت من الثلاثة واحدًا ... تلقى بعبد الحذف منهُ ما ولم
« اهلُ » بهِ يُجبى ولكن مثلاً ... يجبى المؤمّل في كراهُ اذا احتلم
« الم » بهِ يضني ولكن عندما ... غمت القلوب لملكهِ وبها احتكمْ
تدعوه ربًّا وهو صنع يديكَ من ... حجرٍ تطرّقهُ فتُل هذا صنمْ
فلأكسرنّ ساقيهِ تحت رأسهُ ... ولأشربنّ بهِ الكرائم والبطمْ
اهلاكهُ نفعٌ وفي ابقائهِ ... تلقى هلاكك والغواية والندمْ
خذ منهُ ما تحتاج واترك للورى ... ما زاد ليس المال مالك يا عدمْ
قد جئتَ هذا الكون عريانًا فقُل ... من اين ما لك فيهِ او ماذا ولم (١)
واذا رجعت الى ترابك يا ثرى ... اتبرُ سمك المال او تحيي الرمم
فالمال في اندارين انفع نافعٍ ... عند امرئٍ في حسن مبداهِ انتظمْ
فاذا اردت بهِ السيادة مُدّ وكن ... للناس سنوانًا فتلفيهم خدمْ
واذا اردت الملك في دار البقا ... فلوجهِ ربك بذلهُ اوفى سلمْ
يا صاحب العقل السليم اليك من ... لغز ومنزاهُ فوائد تُغتنمْ

لغزٌ آخر لجناب الدكتور حبيب درعوني يطلب حلّهُ نظمًا

ما تركم اهل النهى في ميّتٍ ... ايدي المنيّة ذبّحته بصُفرةِ
جسم بلا روحٍ وروحٌ حيّةٌ ... فيهِ لقد خُصّت باعظم قدرةِ
فاذا فركت الجسم عادت روحهُ ... واذا تركت بمرد ضيف الحجرةِ
واذا قطعت الرأس منهُ وروحهُ ... لاقت لها أختًا لاوّل مرّةِ
نفرت وصارت تبتغي هربًا كأنّ فؤادها لم يدرِ حبّ البترةِ
لكنّها تصبرُ الى اضدادها ... وتروح تجذبهم ولو من ذرّةِ
فاذا التقت في مدّها ألِفتْ كي ... تقضي لحاجات بكلّ مسرّةِ
من اجلها تطوي الفلاة بلمحةٍ ... وبنورها تردي بنور الغرّةِ
وتريك اعمالاً تريدك فتنةً ... وخوارقًا تقضي عليك بحيرةِ
واذا هوى الانسان تابض خيطها ... أودت بهِ في قاع اعمق حفرةِ

(١) اشارة الى قول بولس الرسول « وماذا لك فلم تأخذهُ » اي كلّ ما للانسان هو من الله

أسئلة وأجوبة

س سألنا احد افاضل الروم أصحيح انَّ للبابا حذاء رُسم عليهِ الصليب المقدس. فكيف استجاز ذلك احبار رومية وما اصلهُ

الصليب على حذاء البابوات

ج هذا سؤال كثيرًا ما عرضهُ علينا بعض اهالي البلدة فنجيب عليهِ بطيبة خاطر. لا خفاء انَّ للاحبار الرومانيين ثيابًا أهلتهم لجلال مقامهم من جملتها احذية الحرير الابيض التي استعملها الاساقفة منذ عهدٍ بعيد في الرتب الدينيَّة. الَّا ان احذية الحبر الروماني تكون من الحرير الابيض او الذهبي اللون على حسب اختلاف الاعياد. وقد خُصَّت هذه الاحذية بان يُطرَّز على وجهها رسم الصليب جريًا على عادة قديمة رقاها الكاتب المحقق بويار (Poyyard) في كتابهِ عن الثياب الحبريَّة المطبوع في رومية قبل مئة سنة الى القديس غريغوريوس الكبير في عام ٥٩٠ وكذا روى العلامة روكًا (Rocca) من علماء العاديَّات الكنسيَّة. امَّا سبب نقش الصليب على الاحذية البابويَّة فهو دليل على اتضاعهم. لانهُ لمَّا كان المؤمنون بل الملوك والاساقفة يقبِّلون أقدام الاحبار الرومانيين لسموّ مرتبتهم فضَّل رؤساء الكنيسة ان يُقدَّم هذا الاكرام لصليب الرب لا لشخصهم فليس اذن في رسم الصليب على الاحذية اهانة لهُ بل اكرام جديد. وان تيسل الاحذية تمسّ الارض وتمتهن بالمشي اجبنا انَّ الشمس لا تفقد شيئًا من بهائها بوقوع اشعتها على امكنة ذليلة وكذلك الصليب. وياترى أيقول احدٌ انَّ الاساقفة يحتقرون الصليب بجلوسهم على بدلاتهم الحبريَّة والفنَّارات الذي هو مرسوم على هذه الحلل الكنسيَّة. او يزعم زاعم ان الصليب يُهان لمَّا يمشي المؤمنون في صحن الكنيسة وكثيرًا ما نُقش فيها بالفسيفساء رسم الصليب وغير آنية مقدَّسة كالكأس مع القربانة الخ. وكلُّ ذلك شائع بين كلّ الطوائف النصرانيَّة منذ اوائل الكنيسة.

س وسُئلنا هل استُعملت انارة الهيكل في العهد القديم بالشمع العسلي وهل استعمالهُ قديم في الكنيسة ومن اي زمان

الشمع العسلي

ج لم يرد في اسفار العهد القديم ذكر الشمع العسلي. امَّا النصارى فقد استعملوهُ منذ اوائل الكنيسة فانَّ القديس ايرونيموس يذكر الامر كعادة شائعة في كلّ بلاد الشرق في أيامهِ. ولدينا شواهد تكاد ترقي استعمال الشمع الى عهد الرسل ل. س

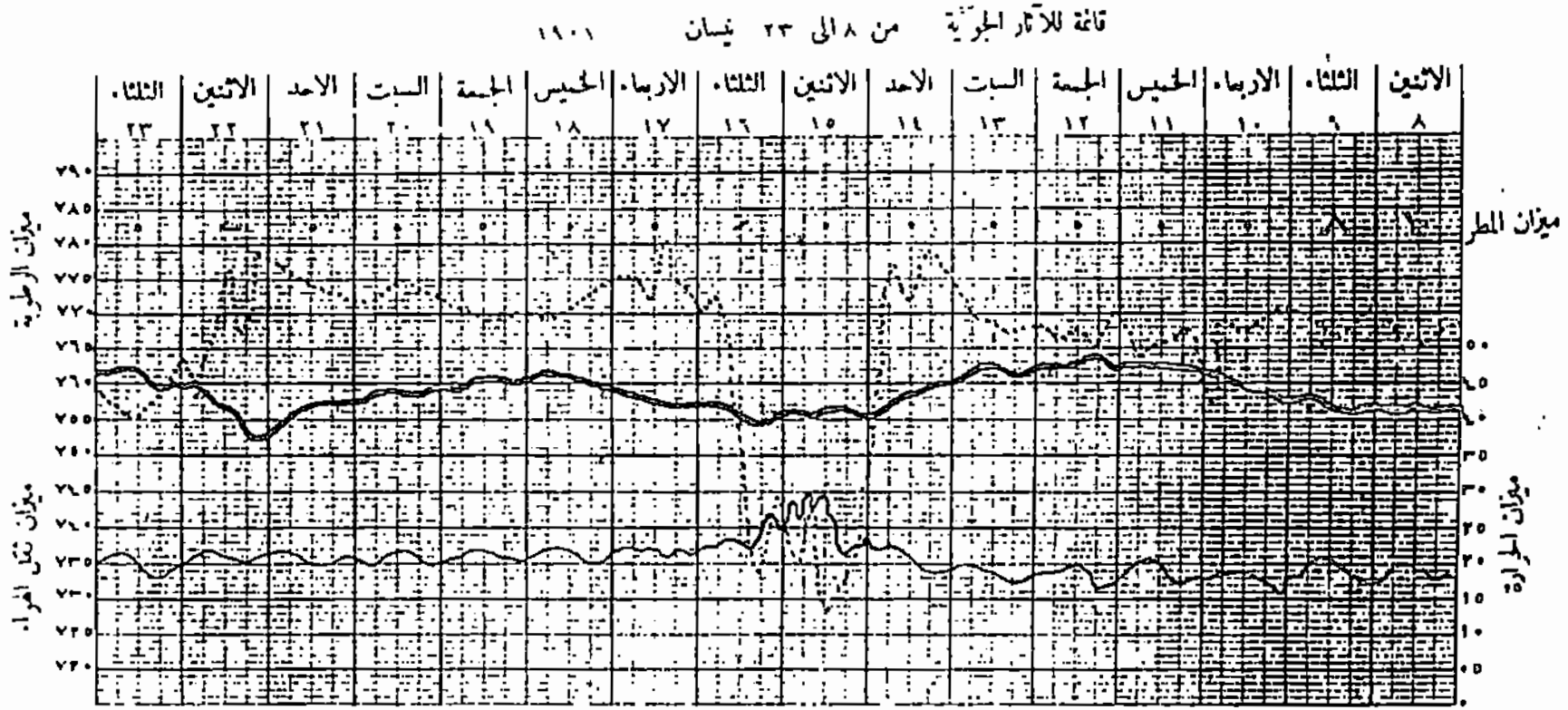

انَّ الخطَّ الضخم (ـــب) يدلُّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر — والخطّ الرفيع المتابع (ـــ) على ميزان الحرارة (ترمومتر)

امّا الخطّ المنقّط (٠٠٠٠٠) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) — والاعداد الدالّة على درجات ثقل الهواء تدلّ ايضاً اذا حُذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة وقد عُيّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعةً بالمئترات وعُشر المليمترات